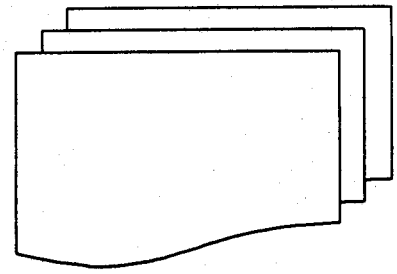

من

الفروق الدلالية عند ابن جني

إعداد

د/ عبدالهادي أحمد محمد السلمون

أستاذ أصول اللغة المساعد في الكلية

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

لجنة التحكيم

أ.د/ فتحي أنور عبد المجيد الدابولي	عضو اللجنة العلمية الدائمة
أ.د/ حسن سيد فرغلي	عضو اللجنة العلمية المحكمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آلـه وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،،،

فلعل البحوث اللغوية المتعلقة بالدلالة هي أقدم البحوث على الإطلاق، سواء عند العرب أم عند غيرهم من الأمم ؛ لأن الوصول إلى المعنى المراد من اللفظ، أو العبارة، أو الجملة هو الغايـة العظمى التي يسعى إليها العلماء على اختلاف اهتماماتهم؛ لذا حق لبعض الباحثين المعاصـرين أن يصف الدراسات الدلالية بأنها : " قمة الدراسات اللغوية ". (١)

ومن هنا فقد نالت الدراسات الدلالية عند علماء العربية اهتماماً كبيراً ؛ إذ سبقت غيرها من العلوم الأخرى ؛ لأن المعاني عند ـــ جمهورهم ـــ أشرف من الألفاظ بل إن الألفاظ خدم لهـا، قال ابن جني في ـــ باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني ـــ : " إن العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تـارة، وبالخطـب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها ـــ فإن المعاني أقوى عندها، وأكـرم عليهـا، وأفخم قدراً في نفوسها ". (٢) ويقول في موضع آخر : " كان القوم يعتبرون المعاني، ويخلدون إليها، فإذا حصلوها وحصنوها سامحوا أنفسهم في العبارات عنها ". (٣)

وابن جني (رحمه الله تعالى) أحد العلماء المبرزين في الاهتمام بدراسة الدلالات المتعلقـة بالألفاظ، أو المعاني المستفادة منها، فقد قسم الدلالة ثلاثة أقسام : لفظية، وصـناعية، ومعنويـة، والأولى ـــ عنده ـــ أقواها، والأخيرة أضعفها .

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي / الدكتور : محمود السعران : ٢٨٥ .

(٢) الخصائص ١ / ٢١٦ ، وما بعدها ، وينظر ١ / ١٥١ ، ٣١٣ .

(٣) المحتسب ٢ / ٣٣٦ . وذلك في غير القرآن الكريم طبعاً ، بدليل قوله : " سامحوا أنفسهم في العبارات عنها " وينظر الخصائص ١ / ٢٥ ، ٢٦ .

والبحث الذي بين يدي القارئ يتناول جانباً من الدلالة، وهو : " الفروق الدلالية عند ابن جني " أحاول فيه قراءة بعض تراث ابن جني اللغوي، كالخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمحتسب، والمنصف ـــ لاستجلاء دوره في ميدان التفكير الدلالي في هذه الفروق .

وقد اخترت (الفروق الدلالية) مجالاً للبحث ؛ لأنني لم أجد ـــ فيما أعلم ـــ أحداً قد عرض لها ولم شتاتها من جهة، ولأن كثيراً من الألفاظ العربية لتقارب معانيها ولتشابه دلالاتها ـــ ولطول العهد والتطور الدلالي، وكثرة استعمال الكلمة في المعنى الجديد ـــ عدها بعض المستخدمين للغة على أنها مترادفة، وليس الأمر كذلك غالباً، فأردت أن أوضح ما بين هذه الألفاظ من فروق دلالية، من جهة أخرى .

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع .

أما " المقدمة " فتناولت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهجي فيه. وأما المباحث الأربعة فقد جاءت على النحو التالي :

المبحث الأول : الفروق الدلالية في الحروف (الصوامت) .

المبحث الثاني : الفروق الدلالية في الحركات (الصوائت) .

المبحث الثالث : (الفروق الدلالية لاختلاف الاشتقاق) .

المبحث الرابع : (ما عده ابن جني من المترادف وبينه فرق) .

وقد كان منهجي في دراسة هذه الفروق يتمثل فيما يلي :

(١) جمع مادة الفروق الدلالية من كتب ابن جني : الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمحتسب، والمنصف، مع بيان رأي ابن جني فيها، ورأي العلماء فيه ـــ اتفاقاً أو اختلافاً ـــ بعد الرجوع إلى معجمات العربية، وكتب اللغة، والتفسير وغيرها .

(٢) توثيق هذه الفروق (لفظاً ومعنى) بالمأثور من كلام العرب شعراً ونثراً، مع عدم الوقوف في الاستدلال عند عصور الإحتجاج، بل تجاوزت ذلك ـــ زماناً ومكاناً ـــ كما فعل ذلك كثير من اللغويين، ومنهم ابن جني الذي يقول : " لا تقل ما يقوله من ضعفت نحيزته، وركت

طريقته : هذا شاعر محدث، وبالأمس كان معنا، فكيف يجوز أن يحتج به في كلام الله (جل جلاله) ؟. فإن المعاني لا يرفعها تقدم، ولا يزرى بها تأخر. فأما الألفاظ فلعمري إن هذا الموضع معتبر فيها، وأما المعاني ففائتة بأنفسها إلى مغربها، وإذا جاز لأبي العباسي أن يحتج بأبي تمام في اللغة، كان الاحتجاج في المعاني بالمولد الآخر أشبه ". [1]

(٣) عالجت الفروق بين اللفظين أو الألفاظ، موضحاً أن هذه الفروق الدلالية قد جاءت نتيجة لتباين الصفات بين اللفظين أو الألفاظ، أو من جهة الاستعمال، أو العموم والخصوص، أو الاشتقاق، أو باعتبار حقيقة اللفظين أو الألفاظ في أصل اللغة، وهي الفروق نفسها التي اعتمدها أبو هلال العسكري في كتابه. [2]

أما (الخاتمة) فقد أبرزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع .

وختاماً آمل أن أكون قد وفقت فيما عرضت له، والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

الباحث

---

(١) المحتسب ٢ / ٢٣١ .

(٢) الفروق اللغوية : ١٤ ــ ١٦ .

التمهيد : " ابن جني والفروق الدلالية "

أولاً : التعريف بابن جني :

أود أن أنبه ـــ قبل الحديث عن ابن جني ـــ أنني سأوجز الحديث عنه ؛ لأنه قد سبقني وقام بترجمة شاملة مفصلة له كثير ممن حققوا كتبه، أو كتبوا عنه بحوثاً أو رسائل علمية .

نسبه ومولده :

هو : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، النحوي، اللغوي، كان أبوه رومياً يونانياً مملوكاً لسليمان بن فهر بن أحمد الأزدي الموصلي .(١)

ولد ـــ فى الموصل ـــ قبل الثلاثين والثلاثمائة من الهجرة، ولم يعرف تاريخ مولده يقيناً، فقد قيل : سنة ثلاثمائة، وقيل : سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة، وهو الأرجح ؛ لأنه قيل : إنه عاش سبعين سنة، وقد كانت وفاته ـــ يقيناً ـــ سنة ثنين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة .

نشأته وحياته العلمية :

نشأ ابن جني (رحمه الله) بالموصل، وتلقى مبادئ التعليم فيها، وفيها أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي المعروف بالأخفش (٢) . ويذكر ابن خلكان أنه قرأ الأدب فى صباه، على أبى علي الفارسي وصحبه ولزمه إثر حادثة علمية مشهورة وقعت بينها، كما قرأ (مجالس ثعلب) على أبي بكر : محمد بن الحسن بن مقسم .(٣)

ويروى ابن جني كثيراً عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم، وكان لا يأخذ عن بدوى إلا بعد أن يمتحنه، ويتثبت من أمره، وقد عقد باباً فى الخصائص بعنوان : " باب ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر " .(٤)

هذا، وقد فتح ابن جني فى العربية أبواباً لم يتسن فتحها لسواه، ووضع أصولاً فى

---

(١) إنباه الرواه : للقفطى ١ / ٢٣٥ .

(٢) مقدمة الخصائص : ١١، ١٢ .

(٣) وفيات الأعيان : لابن خلكان ١ / ٢١٢ .

(٤) الخصائص ٢ / ٧ .

الاشتقاق، ومناسبة الألفاظ للمعاني، وإهمال ما أهمل من الألفاظ إلى غير ذلك .

وقد انتفع بعلمه وأفاد من مباحثه اللغوية كل من أتى بعده، بدءً من ابن سيده، مروراً بابن سنان الخفاجي، وابن منظور، والسيوطي وغيرهم . (١)

مؤلفاتـــه :

ترك ابن جني للعربية وأبنائها مكتبة علمية غزيرة، فتحت للعربية ـــ كما سبق ـــ أبواباً لم يتسن فتحها لسواه ؛ لذا كانت كتبه ملاذاً للباحثين ينهلون منها، ويقتفون أثرها، وقـــد أحـــصى محققـــو كتبه مؤلفاته فزادت على الأربعين، أهمها : الخـــصائص، وســـر الـــصناعة، والمنـــصف والمحتسب.(٢)

وفاتـــه :

يكاد الرواة يجمعون على أن وفاته كانت ببغداد ليلة الجمعة السابع والعشرون من صـــفر سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة، إلا ما كان من ابن الأثير ـــ في تاريخه ـــ حيث ذكر أنه توفي سنة ثلاث وتسعين، وتولى الصلاة عليه الشريف الرضي،وكانت بينهما صداقة متينة، وقـــد رثـــاه بقصيدة عدتها تسعة وخمسون بيتاً . (٣)

ثانياً : الفروق اللغوية والدلاليـــة :

من المسلم به أن كثيراً من الألفاظ العربية تتقارب معانيها، وتتشابه دلالتها، وهذا التقارب أو التشابه كان معلوماً للعرب الفصحاء الذين دونت عنهم اللغة، وأخذت من أفـــواههم، ولكـــن بمرور الزمن، وطول العهد، وكثرة الاستعمال تنوسيت هذه الفوارق بين الألفاظ، وتطورت دلالتها حتى استعملها الناس بمعنى واحد دون النظر إلى ما بينها من فروق دقيقة .

وحين شاع ذلك التطور ـــ بعد التغاضي عن الفروق الدلالية بين الألفاظ ـــ هب العلماء لإيضاح هذه الفروق اللغوية بين الألفاظ المتقاربة في المعنى، بل عدوا ذلك نوعاً من الفساد اللغوي

---

(١) مقدمة الخصائص : ٣١ ـــ ٤٦ .

(٢) المرجع السابق : ٦٢ ـــ ٧٠، ومقدمة سر الصناعة : ١١ وما بعدها .

(٣) وفيات الأعيان ١ /، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، ومقدمة الخصائص : ٦١ .

الذى يجب تقويمه، حفاظاً على اللغة، لكي تظل نقية سليمة كما استعملها العرب الخلص . [١]

فقد صنف بعض العلماء مؤلفات فى الفروق، كالفرق لأبي حاتم السجستاني والفـروق لأبي هلال العسكري، والفرق لثابت بن أبي ثابت، وغيرهم [٢] . وأفرد آخرون أبواباً لهذه الفروق فى كتبهم، كابن قتيبة، وثعلب، والثعالبي، وغيرهم [٣] . ولم يقتصر ذلك الأمر على القـدامى بـل سلك ذلك السبيل المعاصرون . [٤]

وقد شارك بعض المعاصرين فى هذه الجهود بكتابة بحوث فى الفروق اللغوية والدلالية، من هؤلاء : الدكتور / محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشائع فى كتابه : الفروق اللغويـة وأثرهـا فى تفسير القرآن الكريم "،"والفروق اللغوية فى تفسير القرطبي : للدكتور / عبد الله أحمد محمد باز "، " والفروق اللغوية فى لسان العرب : للدكتور / محمد عبد اللطيف علي "، " والفروق الدلالية فى تاج العروس : للدكتور/ محمد كريم "، " والفروق الدلالية فى : اللباب فى علوم الكتاب : لابـن عادل (ت ١٨٠هـ) : للدكتور / سعيد الفواخري "، " والفروق الدلالية لحركات الإعراب بـين القدامى والمحدثين : للدكتور / محمد مصطفى " وغيرها .

---

(١) الفروق اللغوية فى لسان العرب للدكتور / محمد عبد اللطيف علي : ٩، ١٠ .

(٢) تنظر هذه المؤلفات وغيرها فى كتابان فى الفرق / لأبي حاتم، ولثابت بن أبي ثابت : ٩ وما بعدها .

(٣) ينظر على الترتيب : أدب الكاتب : ١٧ ــ ٣٧، والفصيح : ٣٢١، ٣٢٢، وفقه اللغة وسر العربية : ٢١ ــ ٢٣ .

(٤) أزاهير الفصحى : لعباس أبي السعود : ٧٦ ــ ٨٦، وشموس العرفان بلغة القرآن، لـه أيـضاً : ١٣٥ ــ ١٩٦ .

المبحث الأول

الفروق الدلالية في الحروف (الصوامت)

لم يخف على نفر من علماء العربية ــ ومنهم ابن جنى ــ أن : " اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [1] فلما أفاضوا في دراسة هذه المادة (الصوتية) عرفوا لكل حرف صوته مخرجاً وصفة، مثلما عرفوا له إيحاءه دلالة ومعنى ؛ إذ لم يعنهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه يعبر به عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع ؛ إذ لكل حرف صدى وإيقاع . [2]

فالحرف الواحد عند ابن جني ــ له صدى وإيقاع أو قيمة تعبيرية أيا كان موقعه في الكلمة، أولاً أو وسطاً أو آخراً، وتتضح هذه القيمة من المقارنة التي عقدها ابن جني بين ألفاظ تتحد في أصواتها عدا صوت واحد اختلفت معانيها بسببه، فدل ذلك عنده على أن لهذا الصوت قيمة تعبيرية موحية بالمعنى، دالة عليه . [3]

وعلى ذلك فكل تغير صوتي يتبعه فرق دلالي، فإذا حدث إبدال ــ أو إحلال ــ صوت في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى أدى ذلك إلى اختلاف الدلالة في كل منهما عن الأخرى، ويعرف هذا الإحلال الصوتي في علم اللغة الحديث بـ(التوزيع التقابلي) حيث : " يحل فونيم محل آخر في كلمة ما، فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف " . [4]

---

(١) الخصائص لابن جني ١ / ٣٤ .

(٢) دراسات في فقه اللغة للدكتور : صبحي الصالح : ١٤١، ١٤٢ .

(٣) الدلالة الصوتية عند ابن جني (حولية كلية اللغة العربية بأسيوط ــ العدد ٢٦ ــ للدكتور : ممدوح إبراهيم محمود : ٨٦٠ .

(٤) علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية . للدكتور : فريد عوض حيدر : ٣٠ .

وقد أورد ابن جني أمثلة في كتبه دليلاً على ذلك مما سيأتي في هذا المبحث، منها: (القد والقط) فاللفظتان ـ عنده ـ بمعنى القطع ؛ إلا أن الفرق بينهما يكمن (في جهة الاستعمال) فـ (القد) ـ بالدال ـ يكون للقطع طولاً، و(القط) ـ بالطاء ـ يكون إذا كان القطع عرضاً. وقد اعتمد في هذه التفرقة ـ بين اللفظين ـ على خصائص الأصوات من جهة وعلى الزمن المستغرق في نطق الصوتين من جهة أخرى. (١)

بل أدرك ابن جني أن (الوحدة الصوتية الواحدة) قد تختلف وظيفتها التأثيرية باختلاف السياق الذي ترد فيه، ويكفي للتدليل على ذلك أن الخاء في لفظ (الخضم) ذات دلالة تأثيرية هي الإيماء إلى عنصر الرخاوة والليونة في الشيء المخضوم، وما كان ذلك كذلك إلا لأن السياق الذي وردت فيه، وهو ـ هنا ـ جعلها في مقابلة (القضم) الذي يوحي بالشدة واليبس (يخضمون ونقضم والموعد الله) . (٢)

فإذا ما انتقلنا إلى سياق آخر وجدنا الحرف نفسه الذي كان يوحي بالرخاوة هو نفسه الذي يوحي بالقوة، وذلك عند مقارنة (نضح ونضخ) ؛ إذ النضخ ـ بالخاء المعجمة ـ أقوى من النضح، وكأنهم جعلوا الخاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه كما يقول ابن جني . (٣)

فالخاء تكون عند مقابلتها بالقاف وحدة ضعيفة، وتكون وحدة قوية عند مقابلتها بالخاء وهنا يأتي دور السياق ليحدد الوظيفة التأثيرية للوحدة الصوتية (الخاء)، ودون النظر إلى هذا السياق تصبح هذه الدلالة أمراً احتمالياً . (٤)

وسأذكر ـ بمشيئة الله تعالى ـ في الصفحات التالية أمثلة لما أورده ابن جني يتضح منها مدى حرصه وإدراكه لوظيفة الصوامت في الدلالة على اختلاف المعنى .

---

(١) ينظر : الخصائص ٢ / ١٦٠ .

(٢) السابق ٢ / ١٥٩ .

(٣) السابق ٢ / ١٦٠، ودلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث للدكتور : عبد الفتاح البركاوي : ١١٧

(٤) دلالة السياق : ١١٧، ١١٨ .

الأَزّ والهَزّ :

يقول ابن جني (رحمه الله) في قول الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ [1] : أي : تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً . والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان ؛ لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة ؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهَزّ؛ لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع، وساق الشجرة، ونحو ذلك " . [2]

فابن جني ـــ في هذا النص ـــ يذكر أن هناك تقارباً في المعنى بين لفظتي (الأَزّ) و(الهَزّ) قد نتج عن تقارب صوتي (الهمزة والهاء) في المخرج ؛ إذ يعني كل منهما : الحركة والاضطراب، إلا أن (الأَزّ) أقوى في هذا المعنى من (الهَزّ) الذي يستعمل في كل حركة .

وعلى هذا فالفرق بينهما يكون (من جهة اختلاف ما يستعمل فيه اللفظان) فـ(الهَزّ) يستعمل في كل ما فيه حركة، أما (الأَزّ) فيقتصر استعماله فيما كانت حركته شديدة : حسيًا، أو معنويًا، أو عقليًا، كما في هذه الآية الكريمة السابقة، وكما في حديث الأشتر : " كان الذي أزّ أم المؤمنين (عائشة) على الخروج ابن الزبير " [3] أي : هو الذي حركها، وأزعجها، وحملها على الخروج [4]، ومنه قولهم: أزت القدر تؤز أزاً، وأزيزاً : إذا اشتد غليانها [5] . وفي رواية أخرى للحديث: "أن طلحة والزبير أزا عائشة حتى خرجت " [6].

---

(١) سورة مريم : ٨٣ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٤٨ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١ / ٤٥ (أزز) .

(٤) السابق : ١ / ٤٥، واللسان (أزز) .

(٥) اللسان (أزز) .

(٦) النهاية ١ / ٤٥ (أزز) .

فـ (الأَزّ) يستعمل فيما يحتاج إلى قوة في الحركة كما في قوله : " تـؤزهم أزا" إذ هـو موضع إغراء الشياطين للكافرين، وتهيجهم، وحثهم على ارتكاب المعاصي[1]، وهو موضع شـدة وعنف في تحريك النفس بإهاجتها وإغرائها وإن كان معنوياً . [2]

أما (الهَزّ) فيستعمل في كل تحريك ؛ " لأنك قد تهز مالا بـال لـه كالجـذع، وسـاق الشجـرة " ونحو ذلك، كما قال ابن جني . ومن ذلك قول الله تعالى ـــ على لسان جبريـل ـــ : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً ﴾ [3] ولم يقل : (وأزي) .

وإذا كان بعض اللغويين قد قال بترادف اللفظتين، كأبي عبيده، الذي يقول : " يقـال : هالني أزير الرعد، وصرعني أزيز الرحا، وهزيزها " [4] وابن منظور الـذي يقـول : " وأزه أزا، وأزيزاً، مثل هزه " [5] فإن رأى ابن جني ـــ الذي قال بالتفريق ـــ أدق، ويؤيده الرجوع بالمـادتين إلى أصلهما، يقول ابن فارس : "الهمزة والزاء يدل على التحرك والتحريك والأَزّعاج " [6] وعليه قول رؤبة :

لا يأخـذُ التأفيـكُ والتحـزى .·. فيناولا قـول العِـدى ذو الأَزّ[7]

---

(١) معانـي القـرآن للفراء ٢ / ١٧٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦ / ٤٣٢١، ٤٣٢٢، والبحر المحيط ٦ / ٢١٦ .

(٢) الدلالة الصوتية عند ابن جني / الدكتور ممدوح إبراهيم الخطيب ـــ مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ٢ / ٨٦١ ـــ العدد السادس والعشرون ـــ لسنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

(٣) سورة مريم : ٢٥ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١١، واللسان، والتاج (أزز) .

(٥) اللسان (أزز) .

(٦) مقاييس اللغة ١ / ١٣ (أزز) .

(٧) البيتان من الرجز، وينظران في ديوانه ٦٤، وتهذيب اللغة ١٣/ ٢٨٠ .

يقول ابن سيده ـ معلقا على البيت ـ : " يجوز أن يكون من التحريك، ومن التهييج". (١)

ومنه حديث جَمَل جابر (رضي الله عنه) : " فنخسه رسول الله ـ ﷺ ـ بقضيب، فإذا تحتي أزيز " أي : حركة واهتياج وحدة " . (٢)

أما " الهَزّ " فإنه ـ وإن كان أصله الحركة (٣) ـ فإنه يستعمل فيما خفت حركته، كالسيف، والرمح، والرأس، ومنه حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : " رأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد كأحسن ما كان، فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين "(٤)، كما جاء في الحديث هز الحربة(٥)، والرأس(٦). وعليه قول الشاعر :

وهززتُ أعطافَ الملوكِ بمنطقٍ ∴ ردَّ المسنَّ إلى اقتبالِ شبابهِ(٧)

وقول الآخر :

هززتُ لها عطفَ الوزيرِ وإنما ∴ هززتُ على هادٍ حُساماً مُصَمماً(٨)

ويؤيد ذلك قول ابن فارس : " الهاء والزاء أصل يدل على اضطراب في شيء وحركة "

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٩ / ٧٠ (أزز) .

(٢) سنن أبي داوود ـ كتاب الصلاة ـ ١/ ٢٨٠، والنهاية ١ / ٤٥ (أزز) .

(٣) النهاية ١ / ٤٥، واللسان، والتاج (أزز) .

(٤) سنن الدارمي ـ رؤيا ـ ٢ / ١٧٣، ومسلم ـ رؤيا ـ ٤/ ١٧٧٧.

(٥) المعجم الكبير / للطبراني ٣ / ١٤٧ .

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤ /١٢، وينظر أحاديث أخرى في المعجم المفهرس ٧/ ٨٦ .

(٧) البيت من "الكامل" لأبي العلاء أحمد بن عبدالله المقرئ،وينظر في:تاريخ بغداد/للخطيب البغدادي ٣ / ١٠٢.

(٨) البيت من " الطويل" وينظر في : الزخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن : على بن جسام الشتريني ٥٦٩/٩ .

وقد أورد اللفظ في سياقات متعددة تدل على قلة أو خفة الحركة، مثل : هززت القناة فـاهتزت، وهز الحادي الإبل بحذائه، واهتزت في سيرها، وهزيز الريح: حركتها وصوتها . (١)

ومن هنا كان ابن جني موفقاً ؛ لإدراكه خصائص أصوات العربية، وما لها من أثر في قـوة التعبير أو ضعفه، وتحول المعنى تبعاً لذلك . يتضح ذلك من قوله : " الهمزة أخت الهاء، فتقـارب اللفظان لتقارب المعنيين ؛ وكأنهم خصوا هذا المعنى (أي : تزعجهم وتقلقهم) بالهمزة ؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهَزّ ؛ لأنك قد تهز ما لا بال لـه، كالجـذع، وسـاق الشجرة، ونحو ذلك " .

الحرف والصوت :

النظرة العجلى إلى حديث ابن جنى عن الصوت والحرف قد يفهم منها أنه يسوى بينـهما في المعنى، مما يوحى بترادفهما، يتضح ذلك من قوله : " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع الـنفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتـداده واسـتطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً .

وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته علـى مـا ذكرته لك . ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت منه راجعاً عنه، أو متجاوزاً له، ثم قطعت أحسست ـــ عند ذلك ـــ صدى غير الصدى الأول ... " . (٢)

لكن من ينعم النظر في كلام ابن جني ـــ السابق ـــ يدرك أنه يفرق بين الصوت والحرف فـ (الصوت) عنده أشبه بتيار الهواء المتدفق من أسفل عبر الرئتين والقصبة الهوائية حتى خروجه من الفم . أما (الحرف) فهو موضع إعاقة الهواء ـــ كلياً كانت هذه الإعاقة أو جزئية ـــ وهو ما نسميه المخرج .

---

(١) مقاييس اللغة ٦ / ٩ (هـ ز) .

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ١٩ .

ومما يدل على ذلك قوله : " بعض الحروف أشد حصراً للصوت من بعضها ..." . [1] وقوله : " فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا ينقطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمر الصوت (أي : الهواء) ممتداً حتى ينفد ... " . [2]

وإذا كان ابن جني فرق بينهما فسيولوجياً ـ فيما سبق ـ فإننا نجده قد فرق بينهما ـ في موضع آخر ـ لغوياً أو دلالياً، مبيناً أن جهة الاختلاف بينهما هي العموم والخصوص، فالصوت عنده أعم من الحرف، يقول : " الصوت : مصدر صات الشيء يصوت صوتاً فهو صائت، وصوت تصويتاً فهو مصوت، وهو عام غير مختص، يقال : سمعت صوت الرجل، وصوت الحمار، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ ﴾ [3] ... ومنه قول ذي الرمة :

كأن أصواتَ، من إيغالهن بنا .·. أواخرَ الميسِ، أصواتَ الفراريجِ[4]

فهو يشبه أصوات الميس (شجر تتخذ منه الرحال) إذا احتك بعضه ببعض بأصوات الفراريج، أي:أن أصوات الرحال ـ في بعدها عنا ـ يشبه أصوات الفراريج .

وهذا يدل على أنه غير مميز أو محدد ؛ إذ هو أشبه بالضوضاء، وهذا في حقيقته يختلف عن الحرف . بل نجده ينص ـ صراحة ـ على أن الصوت قد يأتي بمعنى الضوضاء والجلبة، وقد أورد بيت رويشد الطائي شاهداً على ذلك، وهو قوله :

يا أيها الراكبُ المزُجي مطيتَه .·. سائلْ بني أسدٍ ما هذه الصوتُ؟[5]

---

(١)السابق ١ / ٢٠ .

(٢) السابق نفسه ١ / ٢٠ .

(٣) سورة لقمان : من الآية ١٩ .

(٤) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ٩٩٦، والخصائص ٢ / ٤٠٦، والكتاب ١٧٩/١.

(٥) البيت من " البسيط " وينظر في سر صناعة الإعراب١/ ٢٥، والخصائص ٢ / ٤١٨، (ص و ت) والمخصص ٢ / ١٣٠ .

وقال الجوهري ـــ معقباً على هذا البيت ـــ " فإنما أنثه (ما هذه الصوت ؟) لأنه أراد به الضوضاء، والجلبة والاستغاثة " . (١)

أما (الحرف) فيراد به عنده : حد الشيء وحدته أو ناصيته، إذ نراه يقول: "وأما الحرف فالقول فيه ـــ وفيما كان من لفظه ـــ أن (ح ر ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وطرفه، من ذلك حرف الشيء : منقطع الصوت وغايته وطرفه، كحرف الجبل ونحوه . ويجوز أن تكون سميت حروفاً ؛ لأنها جهات للعلم ونواح كحرف الشيء وجهاته المحدقة به . ومن هذا قيل:فلان يقرأ بحرف أبي عمرو وغيره من القراء ؛ وذلك لأن الحرف : حد ما بين القراءتين، وجهته وناحيته .." . (٢)

وباستقراء مصادر اللغة نجد صحة ما ذهب إليه ابن جني من الفرق بين الصوت والحرف وأن هذا الفرق بينهما من جهة (العموم والخصوص)، يقول ابن فارس : " الصاد، والواو، والتاء أصل صحيح : وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع ... " . (٣)

وعلى هذا فالصوت عام في كل ما يسمع من الإنسان أو من غيره، كما سبق في آية لقمان، وكما في الحديث النبوي الشريف عن محمد بن حاطب الجمحي، قال: قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ : " فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف في النكاح"(٤) يريد : إعلان النكاح، وذهاب الصوت، أي : الصياح . (٥)

أما (الحرف) فأصله في اللغة ـــ كما ذكر ابن جني ـــ : الطرف،والجانب، أو الناحية، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ (٦) أي : على طرف من الدين، لا ثبات

---

(١) الصحاح، واللسان (ص و ت) .

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٢٨ .

(٣) مقاييس اللغة ٣ / ٣١٨ (ص و ت) .

(٤) سنن الترمذي ٣ / ٣٩٨ (باب ما جاء في إعلان النكاح) حديث رقم : ١٠٨٨ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ١٢٥، واللسان (د ف ف) .

(٦) سورة الحج : من الآية ١١ .

ثبات له فيه، كالذي يكون على طرف الجيش، فإن أحس بظفر قر، وإلا فر " . [1]

وقيل:(عَلَى حَرْفٍ) أي : على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء دون الضراء ... وحرف كل شيء : طرفه، وشفيره، وحده " . [2]

وفي الحديث : " وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة، ثم نَقَرَ في البحر " [3] أي: على طرف السفينة [4]. ومنه قول الطرماح :

فلما تناهتْ وهْي عَجْلى كأنهـا ∴ على طرفِ سيفٍ حده غير مُصفحِ[5]

ثم أطلق لفظ (الحرف) على حروف الهجاء، كما في قول ابن هانئ الأندلسي:

في البينِ حرفُ معجمٌ قد قرأتُـه ∴ على خدِّها لو أنني منه سالمُ[6]

كما أطلق لفظ (الحرف) على كل كلمة بُنِيَتْ أداة عارية في الكلام ؛ لتفرقة المعاني، فاسمها حرفٌ، وإنْ كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك، مثل : حتى، وهل، وبل، ولعل ... [7]

وعلى هذا، فالفرق بين الصوت وبين الحرف (أي : حرف التهجي) واضح، فالصوت:

---

(١) تفسير البيضاوي ٢ / ٤١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦ / ٤٥٤٩ .

(٣) صحيح مسلم ٤ / ١٨٥٠، (باب في فضائل الخضر عليه السلام)، حديث رقم : ٢٣٨٠ .

(٤) اللسان (ح ر ف) .

(٥) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ١٠٦، وتهذيب اللغة ٢٥٦/٤، واللسان(ص ف ح) والسيف المصفح : العريض .

(٦) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ٣٣٧، والمراد (بالحرف المعجم : النون) ــ وتعني ــ هنا ــ شفرة السيف (المحقق) .

(٧) العين ٣ / ٢١٠، ٢١١، والتهذيب ٥ / ١٢، واللسان (ح ر ف) .

هواء متموج بتصادم جسمين، وقيل : كيفية قائمة بالهواء الذي يحملها إلى الصماخ [1] . أما الحرف فهو حد منقطع الصوت، وغايته، وطرفه .

فهما ــ وإن اشتركا في كونهما كيفيات محسه بحاسة السمع ــ إلا أن الحرف عبارة عن هيئة موجودة في الصوت، مغايرة له، وإنما تتولد الحروف عند تقطيع الصوت، وهي مخارج مخصوصة في الحلق واللسان، والأسنان، والشفتين . [2]

الشَّازِبُ، والشَّاسِبُ، والشَّاسِفُ :

أورد ابن جني في الألفاظ السابقة رأيين للعلماء، حيث قال : " ... وقال بعضهم : يقال: شزب، وشسب، وشسف بمعنى، أي : ضمر . وفصل الأصمعي، فقال : الشازب : الذي فيه ضمور، وإن لم يكن مهزولا . والساسب، والشاسف : الذي قد يبس . قال : وسمعت أعرابياً يقول : ما قال الحطيئة :

.... أيْنقا شُزُبا

إنما قال : (أعنزا شسبا) [3] . وليست الزاي ولا السين بدل إحداهما من الأخرى ؛ لتصرف الفعلين فيهما جميعا، وقرأت على أبي علي لذي الرمة :

خِدب حَنَى من صلبه وهو شَوقبٌ .. على قصبٍ منضمِ الشميلةِ شازبِ[4]

---

(١) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون/للقاضي عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكرى ٢ / ١٨٣

(٢) مفاتيح الغيب (أو التفسير الكبير) للرازي ١/ ٢٢ بتصرف، ونهاية القول المفيد في علم التجويد/ لمحمد مكي نصر : ٢٧ وما بعدها، وعن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسة الصوتية الحديثة للدكتور : عبد العزيز أحمد علام : ٢٩ ــ ٣١ .

(٣) ينظر : الإبدال لابن السكيت : ١٣١، والأمالي للقالي ٢ / ٦٩ .

(٤) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه ١ / ٢٠٨ وفيه :

في ضوء النص السابق يتضح لنا أن ابن جني ذكر رأيين في (الشازب، والشاسب، والشاسف) دون ترجيح لأحدهما على الآخر :

الأول : أن الألفاظ الثلاثة من قبيل الألفاظ المترادفة ؛ إذ تعني جميعها الضمور

والثاني : أن الأصمعي قد فرق بينها ؛ إذ جعل (الشاسب والشاسف) بمعنى واحد : وهو ما يبس من الضمور . أما (الشازب) فيعني الضمور الذي لما يصل إلى حد اليبس .

وفي الوقت نفسه أنكر ابن جني على الأصمعي روايته بيت الحطيئة :

..... ∴ ..... أينقا شزبا

وبين أن صوابه :

..... ∴ ..... أعْنُـزًا شُسبا

لأن الزاي ــ في رأيه ــ لا تبدل من السين في هذا اللفظ ؛ لأن كلاً منهما أصل قائم بذاته ؛ لتصرف الفعلين فيهما جميعاً .

وبالرجوع إلى ديوان الحطيئة تبين صحة رواية ابن جني، إذ يقول الحطيئة :

ما كان ذنبُ بَغيض لا أبا لكمُ ∴ في بائسٍ جاء يحدو أنقا شُسُبا[1]

ويؤخذ على ابن جني أنه أورد أن الأصمعي قد سوى ــ في المعنى ــ بين الساسب، والشاسف، والصواب أنه قد سوى بين الشاسب والشاسف، ولعل ذلك خطأ من الناشر أو المحقق ــ وذلك لأمرين :

الأول : أن قول الأصمعي قد ورد بالتسوية بين الشاسب والشاسف في معظم كتب

خدب حنى من طهره بعد سلوة ... على بطن منضم الثميلة شازب

والخدب : الضخم .

(١) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ١٧ وفيه (ويروي : شزبا).

اللغة . [1]

والثاني : تلاقي اللفظيـــن (الشـــازب والشاسف) في المعنى : وهو اليابس، وبعد لفظ (الساسب) عنهما؛إذ هو : شجر تتخذ منه السهام، يذكر ويؤنث، ويؤتى به من بلاد الهند . [2]

وباستقراء كتب اللغة نجد أن علماء اللغة قد اختلفت آراؤهم إزاء هذه الألفاظ الثلاثـــة، فمنهم من جعلها مترادفة، من هؤلاء الخليل بن أحمد [3]، وأبو الطيب اللغوي ــ الذي جعلها مـــن قبيل التعاقب، حيث قال : " الساسب، والشاسف والشازب : الذي يبس من الـــضمر " ــ [4] والأزّهري، وابن فارس، والفيروز أبادي وأجاز أن يكون الشاسب لغة في الشازب . [5]

ومنهم من فرق بين هذه الألفاظ فسوى بين الشاسب، والشاسف، وفرق بينـــهما وبـــين الشازب (من جهة ما يستعمل فيه كل لفظ) كالأصمعي الذي يقول : " الشاسف أشد ضمراً من الشازب " [6]، وقوله : " الشازب : الضامر، وإن يكن مهزولاً، والشاسب والشاسف : الذي يبس " . [7]

كما ذكر ابن سيده أن لكل لفظ من هذه الألفاظ الثلاثة موضع يستعمل فيه دون الآخر ــ وإن اتحد الشاسف والشاسب في المعنى ــ فقال : " الشازب: الـــضامر اليـــابس مـــن النـــاس

(١) الإبدال لابن السكيت : ١٣١، والأمالي للقالي ٢ / ١٨٥، واللسان، والتاج (ش س ب).
(٢) اللسان ، وتاج العروس (ش س ب)، .
(٣) العين ٦ / ٢٢٩ (ش س ف)، ٦ / ٢٣٠ (ش س ب)، ٦ / ٢٣٣ (ش ز ب) .
(٤) الإبدال ١ / ١٥٢، ٢ / ١٧٢ (بالهامش) .
(٥) تهذيب اللغة ١١ / ٢٠٥ (ش س ف) و(ش س ب)، ومقاييس اللغة (ش س ف، ش س ب، ش ز ب) والقاموس المحيط (ش ز ب) و(ش س ف) .
(٦) الأمالي ١ / ١٤٦ .
(٧) السابق ٢ / ١٨٥، والمحكم لابن سيده ٨ / ١١ .

وغيرهم، وأكثر ما يستعمل في الخيل والناس " [1] وذكر الزبيدي أنه يقال : " قد شزب الفرس يشزب شزباً وشزوباً، وخيل شزب، أي ضوامر . [2]

وفي حديث عمر يرثي عروة بن مسعود الثقفي :

بالخيلِ عابسةً زُورا مناكبُها .. تعدو شوازبَ بالشُّعث الصناديدِ[3]

الشوازب : المضمرات . جمع شاذب . [4]

مما سبق يتضح أن هناك فرقا في المعنى بين الشازب، والشاسف من حيث ما يستعمل فيه اللفظان، فالشازب يستعمل ــ غالباً ــ في الخيل والناس كما سبق . أما الشاسف فيستعمل في غير ذلك، كما في قول الأفوه الأودي ــ يصف سيفه ــ :

وقد غدوتُ أمامُ الحيِّ يحملُني .. والفضلتيْن، وسيفي مُحنق شَسِفُ[5]

وكما في قول لبيد ــ يصف ناقة ــ :

تتقى الريحَ بِدَف شاسفٍ .. وضلوع تحت زور قد نَحَلْ[6]

ويروي : " بدف شاسب " . [7]

وقد يستعمل الشاسب فيما يستعمل فيه الشاسف ــ وهو فيما ضمر من غير الخيل والناس ــ كما في قول الوقاف العقيلي ــ يصف قوسا ــ :

فقلتث له : حَانَ الرَّواحُ ورُعتُه .. بأسمرَ ملويٍّ من القدَ شَاسِبُ[1]

---

(١) المحكم ٨ / ١١، واللسان (ش ز ب) .

(٢) تاج العروس (ش ز ب) .

(٣) البيت من "الطويل" لعمر بن الخطاب كما في النهاية ٣١٨/٢، ٢/ ٤٧٠ (ش ز ب) .

(٤) النهاية لابن الأثير ٢ / ٤٧٠، واللسان (ش ز ب).

(٥) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ٢٠، واللسان (ش س ف) . برواية (يتقي الأرض) والمراد صاحبه

(٦) البيت من " الرمل " وينظر في ديوانه : ١٤٢، والعين ٦ / ٢٢٩، وتهذيب اللغة ٣٠٠/١١ .

(٧) تهذيب اللغة ١١ / ٣٠٠، واللسان، وتاج العروس (س س ب) .

وقد يأتي الشاسب بمعنى الشازب على سبيل الإبدال بين الزاي والسين، كما ذكر السيوطي .[٢]

إلا أن القول بالفرق بينهما أولى ؛ لأن العرب كثيراً ما فاوتت بين هذه الألفاظ المقترنة، المتقاربة في المعاني، فـ (الشاسب) مثل الشاسف، وليس مثل الشازب كما ذكر أكثر علماء العربية، ومنهم ابن جني الذي لا يجيز الإبدال بين الشاسب والشازب ؛ لأن كلاً من الفعلين يتصرف تصرفا كاملا ؛ لذا كان كل منهما أصل قائم بذاته .

الشعف والشغف :

من الألفاظ التي ذكر ابن جني أن بينها فرقاً دلاليًا (شغف وشعف) بالعين والغين، حيث قال : " ومن ذلك قراءة علي (عليه السلام) والحسن ــ بخلاف ــ وأبي رجاء، ويحيى بن يعمر، وقتادة ــ بخلاف ــ وثابت البناني ... : " قد شعفها"[٣] بالعين .

قال أبو الفتح : معناه : وصل حبه إلى قلبها، فكاد يحرقه لحدته . وأصله من البعير يهنأ بالقطران، فيصل حرارة ذلك إلى قلبه، قال الشاعر :

أيقتلني وقد شعفتُ فؤادَها .·. كما شعف المهنوءةَ الرجلُ الطالِي[٤]

وأما قراءة الجماعة : " شَغَفَهَا " بالغين معجمة فتأويله : أنه خرق شِغَافِ قلبها ــ وهو غلافه ــ فوصل إلى قلبها " .[٥]

مما سبق تبين لنا أن ابن جني (رحمه الله تعالى) يفرق في المعنى بين لفظتي (الشعف والشغف) فألشعف بالعين المهملة في معنى الحب ــ وهو المعنى السياقي ــ على حين وضع

---

(١) البيت من " الطويل " وينظر في اللسان، والتاج (س س ب) .

(٢) المزهر في علوم اللغة ١ / ٣٦٠ .

(٣) سورة يوسف من قوله تعالى (قد شغفها حباً " من الآية : ٣٠ .

(٤) البيت من " الطويل " لامرئ القيس، وينظر في ديوانه : ٢٣٣،وأساس البلاغة ،(هـ ن أ) .

(٥) المحتسب ١ / ٣٣٩ .

اللفظ في أصل اللغة للدابة حين تُذْعَرُ [1] . أما الشغاف أو الشغف بالغين المعجمة فهو غلاف القلب:وهو جلدة دونه كالحجاب، وسويداؤه . [2]

وما ذكره ابن جني من التفرقة بين اللفظتين دلاليًا ـ نتيجة اختلاف صوتي العين والغين ـ عليه كثير من علماء العربية، على خلاف فيما بينهم في بيان الدلالة الأصلية للفظة (الشعف) وفيما يفترق فيه اللفظان .

فإبراهيم النخعي يذكر أن : " الشغف (بالغين المعجمة) : شغف الحب، والشعف (بالمهملة) : شعف الدابة حين تذعر "[3] على حين يذكر أبو حاتم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن : " الشغف : الحب القاتل، والشعف : حب دون ذلك" [4] وأورد أبو عبيد أن : " المشغوف ـ بالمعجمة ـ:الذي بلغ الحب قلبه.وبالمهملة:الذي خلص الحب إلى قلبه فأحرقه ". [5]

ويرى عبد الرحمن بن زيد أن الشغف ـ بالمعجمة ـ في الحب، والشعف ـ بالمهملة ـ في البغض [6] . وقد رد الطبري هذه التفرقة ؛ لأن الشعف في كلام العرب بمعنى : عموم الحب أشهر من أن يجهله ذو علم بكلامهم، كما أن إرادة البغض ممتنعة ـ هنا ـ على هذه القراءة . [7]

وروى عن الشعبي أنه قال : " الشغف ـ بالغين المعجمة ـ : حب، والشعف ـ بالعين

---

(١) اللسان (ش ع ف) .

(٢) السابق (ش غ ف) .

(٣) جامع البيان للطبري ١٢ / ٢٠٠ .

(٤) فتح القدير للشوكاني ٣ / ٢٣ .

(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ـ للقاضي عياض ٢ / ٢٥٦، واللسان (ش ع ف) و(ش غ ف) .

(٦) الدر المنثور للسيوطي ٤ / ٥٢٨ .

(٧) جامع البيان ١٢ / ٢٠١، وروح المعاني للألوسي ١٢ / ٢٢٦ .

غير المعجمة ـ : جنون " [1]، وقد ضعف ابن عطية هذا الرأي وسابقه حيث قال : " وهذان القولان ضعيفان " . [2]

وعلى هذا فأكثر علماء العربية على التفرقة بين اللفظين في المعنى، فكل منهما يستعمل في موطن لا يستعمل فيه الآخر .

على أن بعض العلماء قد خالف ما عليه أكثر العلماء، ومن هؤلاء القاضي عياض الذي ذهب إلى أن اللفظين (الشعف والشغف) بمعنى واحد، إذ نراه يقول ـ في قول يزيد الفقير : " كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج [3] ـ : " ضبطناه بالعين، والغين معاً، أي : لصق بقلبي وداخله، والشعاف : حجاب القلب وسويداؤه وهو أيضا الشغف " [4] ووافقه ابن منظور، إذ يقول : " يقال : ألقى عليه شعفه، وشغفه، وسلقه، وحبه بمعنى واحد " . [5]

والرأي الأول ـ الذي يرى التفرقة بين اللفظين ـ هو الصواب ؛ لأننا إذا عرضنا اللفظين في إطار " علم الترسيس " ـ وهو رد الألفاظ إلى بداياتها [6] ـ أدركنا الفرق بينهما .

فـ(الشعف) بالعين المهملة قد وضع في أصل اللغة للدلالة على كل ما علا فشعف كل شيء : أعلاه، وشعف الجبال والأبنية : رؤوسها، قال :

وكعبا قد حميناهم فحلوا .. محل العُصْم في شَعَفِ الجبالِ[7]

لذلك أورد ابن فارس أن : " الشين، والعين، والفاء يدل على أعالي الشيء ورأسه، فالشعفة : رأس الجبل ... وضرب فلان على شعفة رأسه، أي : أعالي رأسه وشعفة القلب : رأسه

---

(١) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ٣ / ٤٢٠، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ٣٤٩٩، وأهل هجر يقولون للمجنون : مشعوف " اللسان (ش ع ف) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسيؤ الكتاب العزيز ٣ / ٢٢٨ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٤٨٣ (ش غ ف) .

(٤) مشارق الأنوار ٢ / ٢٥٦ (ش غ ف) .

(٥) اللسان (ش غ ف) .

(٦) دراسات في فقه اللغة للدكتور : صبحي الصالح : ٣٤٩ .

(٧) البيت من " الطويل " وينظر في المحكم ١ / ٣٧٨ .

عند معلق النياط " .[1]

وقال إبراهيم النخعي:"الشعف:شعف الدابة حين تذعر"قال أبو عبيدة:"ثم نقلته العرب من الدواب إلى الناس"[2]وأنشد لامرئ القيس البيت الذي أورده ابن جني .

فشعف المرأة من الحب، وشعف المهنوءة من الزعر، شبه لوعة الحب وجواه بذلك وقد يستعار فيوضع موضع الحب، يقال : شعف فلان بفلانة : إذا أحبها ،وجد بها كما يجد الفزع في قلبه .[3]

وبالمعنيين ورد الحديث النبوي الشريف، فمن الأول : قوله (ﷺ) : " من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عِنان فرسه في سبيل الله ... أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف ... "[4] الحديث . قال ابن الأثير : " شعفة كل شيء : أعلاه، وجمعه شعاف، يريد به رأس جبل من الجبال " .[5]

ومن الثاني : حديث عذاب القبر، وفيه:" فإذا كان الرجل صالحاً أُجْلِسَ في قبره غير فزع ولا مشعوف"[6] أي : غير فزع؛ لأن الشعف ــ هنا ــ: شدة الفزع.[7]

ولعل الأصل في ذلك أن الدلالة الأولى : هي كل ما علا، وعليها أكثر العلماء، ثم انتقل اللفظ إلى معنى الذعر والفزع في الدابة حين تذعر، وعليه قول الشاعر :

فلا غرو إلا نَرْوهم من نيالنا .. كما اصعنفرت مِعزى الحجاز من الشَعَفِ[8]

---

(١) مقاييس اللغة ٣ / ١٨٩ (ش ع ف) .

(٢) تهذيب اللغة ١ / ٤٣٩ (ش ع ف) .

(٣) غريب الحديث للخطابي ١ / ٣٦٧، وغريب الحديث لابن الجوزي ١ / ٥٤٦ .

(٤) مسلم ــ باب فضل الجهاد والرباط ــ ٣ / ١٥٠٣ (حديث رقم ١٨٨٩) ٤٨١/٢ .

(٥) النهاية ٢ / ٤٨١ (ش ع ف) .

(٦) الترغيب والترهيب للمنذرى ٤ / ١٩٤ .

(٧) النهاية ٢ / ٤٨١، واللسان (ش ع ف) .

(٨) البيت "من الكامل " وينظر في كتاب الجيم ٢ / ١٤٥، والمحكم ٢ / ٤٤٤ (ع ص ف) .

أي : كما تفرقت المعز، وأسرعت ؛ فراراً من الفزع أو الخوف .[1] ثم انتقل اللفظ إلى ذعر الناس . وقول أبي ذؤيب الهذلي ــ يصف الثور والكلاب ــ :

شعف الكلابُ الضاريات فؤادَه ∴ فإذا يرى الصبحَ المُصدقَ يَفْزَعُ[2]

فإنه استعمل الشعف في الفزع، يقول : ذهبت بقلبه الكلاب، فإذا نظر إلى الصبح ترقب الكلاب أن تأتيه [3]، ثم استعمل عن طريق المجاز في شدة الحب [4]، وهو ما أنكره الأزهري حيث قال : " وما علمت أحداً جعل للقلب شعفة غير الليث" .[5]

أما (الشغف) بالغين المعجمة، ومنه الشغاف فهو في أصل وضعه للدلالة على غلاف القلب، فمعنى قوله تعالى : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُباً ﴾ أي : أوصل الحب إلى شغاف قلبها . وقيل : الشغاف : هو جلدة دون القلب، أو لاصقة بالقلب، قال قيس بن الخطيم :

إني لأهواكِ غير ذي كذِب ∴ قد شُفَّ مني الأحشاءُ والشعفُ[6]

ثم استعمل (الشغف) ــ بعد ذلك ــ في معنى الحب، وعليه قول الشاعر:

فتناهتْ بين أضعافِ المِعى ∴ وثبوت بين أثناءِ الشغف[7]

وعلى هذا فدلالة (الشغف) على الحب دلالة أصلية ؛ إذ القلب هو موضعه، ودلالة (الشعف) بالعين المهملة على الحب دلالة مجازية كما سبق .

وإذا نظرنا إلى سياق الآية الكريمة نجده يحتمل اللفظين (الشعف والشغف) أحدهما

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٢ / ٤٤٤ (ع ص ف ر) .

(٢) البيت من " الكامل " وينظر في شرح ديوان الهذليين ١ / ١٠، واللسان (ش ع ف) .

(٣) اللسان (ش ع ف) .

(٤) غريب الحديث للخطابي ١ / ٣٦٧، ٣٦٨ .

(٥) تهذيب اللغة ١ / ٢٨٠ (ع ش ف) .

(٦) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ١١٢، واللسان (ك ذ ب)، و(ش غ ف) .

(٧) البيت من " الخفيف" لمحمد بن بشير الخارجي، وينظر في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٤/٢٤.

بالدلالة الأصلية، والآخر بالدلالة المجازية .

فعلى قراءة :﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُباً ﴾ بالغين المعجمة، يكون المعنى : دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب، أو أن حبه أحاط بقلبها مثل إحاطة الشغاف بالقلب . ومعنى إحاطة ذلك الحب بقلبها : هو أن اشتغالها بحبه صار حجاباً بينها وبين كل ما سوى هذه المحبة، فلا تعقل سواه، ولا يخطر ببالها إلا إياه، أو أن المعنى هو : أنه وصل حبه إلى سويداء قلبها، وهذا كله كناية عن الحب الشديد، والعشق العظيم.(١)

وعلى قراءة﴿ قَدْ شَعَفَهَا حُباً ﴾ بالعين المهملة، يكون المعنى : أنه علا بها كل مرتبة من الحب، وذهب بها كل مذهب .(٢)

القَدُّ والقَطُّ :

من الألفاظ التي فرق ابن جني بين معانيها لفظتا (القد والقط) قال : " ومن ذلك القد طولاً والقط عرضاً، وذلك أن الطاء أحصر للصوت، وأسرع قطعاً له من الدال . فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض ؛ لقربه وسرعته، والدال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولاً " .(٣)

فابن جني (رحمه الله) يرى أن اللفظين يدلان على القطع، إلا أن الفرق بينهما يأتي من جهة الاستعمال، فـ(القد) يكون في القطع طولاً، و(القط) يستعمل إذا كان القطع عرضاً .

وقد اعتمد في هذه التفرقة على خصائص الصوتين من جهة، وعلى الزمن المستغرق في نطقهما من جهة أخرى، فالزمن الذي يستغرقه النطق بالدال أطول من الزمن الذي يستغرق فيه النطق بالطاء .

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٩ / ٣٩، ٤٠ .

(٢) المحرر الوجيز ٣ / ٢٣٨ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٦٠ .

فخص الزمن الأطول ـــ وهو ما يبدو في نطق الدال المماطلة ـــ في الحدث الأطول، وهو قطع الطول، وخص الزمن الأقصر ـــ وهو ما يبدو في نطق الطاء المناجزة السريعة ـــ في الحدث الأقصر، وهو : قطع العرض .[1]

وهذه التفرقة التي فرق بها ابن جني بين اللفظين ؛ نتيجة لخواص أصوات العربية، وما تتم به من صفة أو أداء قد تفرد بها ابن جني ؛ إذ لم ترد ـــ فيما أعلم ـــ عند غيره من علماء العربية إلا تأثرًا به، أو نقلا عنه [2]، مما يدل على عبقريته الكاشفة عن أسرار اللغة، وما تذخر به من اللآلئ والكنوز التي قلما نجدها في لغة غيرها، وقلما يكشف عنها عالم غيره .

وباستقراء كتب اللغة نجد أنها قد فرقت بين اللفظين من حيث الاستعمال دون الربط بين الصوت وما تتم به طريقة أدائه وبين ما يدل عليه كما فعل ابن جني، يقول ابن دريد : " قَدَّ الشيءَ يقُدُّه قَداً : إذا قطعه قطعاً مستطيلاً، وبه سمي القِدُّ الذي يُقَدُّ من الأديم الفطير . والقد خلاف الطول ؛ لأن القد طولاً، والقط عرضاً، وفي الحديث : " أن عليا (عليه السلام) كان إذا اعتلى قَدَّ، وإذا اعترض قَطَّ " .[3]

ويقول ابن فارس : " القاف والدال أصل صحيح يدل على قطع الشيء طولاً، ثم يستعار يقولون : قددتُ الشيءَ قداً : إذا قطعتَه طولاً، أقدُّه، ويقولون : هو حسن القد، أي : التقطيع في امتداد قامته ... "[4] ويقول : " القاف والطاء أصل صحيح يدل على قطع الشيء بسرعة عرضاً".[5]

---

(١) المزهر ١ / ٥٠، ٥١ .

(٢) الدلالة الصوتية عند ابن جنى : ٨٦٦ .

(٣) جمهرة اللغة ١ / ٧٥ (د ق ق)، والحديث في النهاية برواية " كان إذا تطاول قد، وإذا تقاصر قط " ٤ / ٢١ (ق د د)، واللسان (ق د د) .

(٤) مقاييس اللغة ٥ / ٦ (ق د د) .

(٥) السابق ٥ / ١٣ (ق ط) . وينظر : المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصفهاني ٣٩٤/١ والمحكم ١١٢/٦، والفائق في غريب الحديث للزمخشري ١٦٦/٣، والقاموس المحيط (ق د د).

مما سبق يتبين أن أكثر علماء العربية على التفرقة بين اللفظين من جهة الاستعمال، وأن القد يستعمل في القطع طولاً، و(القط) يستعمل في القطع عرضاً، وهذا الرأي أفضل من الرأي الذي سوى بينهما، قال البغوى : " القَدَّةُ : القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قِدَداً : إذا اختلف حالاتهم، وأصلها من القد : وهو القطع " [1] وكذا قال الثعلبي النيسابوري، ثم أنشد قول لبيد يرثي أخاه أربد :

لم تبلغِ العينُ كل نَهمتِها .·. ليلةَ تمشي الجيادُ كالقَدَدِ[2]

وقد وافقا في ذلك فيما نقله أبو جعفر النحاس عن أبي إسحاق أن القد : هو القطع . [3]

أما استعمال (القط) في مطلق القطع، فقد ذكره الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ ﴾ [4] قال : " من القط بمعنى القطع ؛ لأنه قطعة من القرطاس، أو قطعة من الرزق " [5] . ويقول الإمام : العز بن عبد السلام: " وأصل القط : القطع، ومنه قط القلم، وما رأيته قط، أي : قطع الدهر بيني وبينه فاطلق على النصيب، والكتاب، والرزق؛ لقطه من غيره، وهو في الكتاب أظهر استعمالاً"[6]

والقول الأول ــ القائل بالفرق بين اللفظين ــ أدق، وأوْلى لأمرين :

أحدهما : أن لفظ (القد) يستعمل في اللفظة في كل ما يدل على القطع الطولي، أو الامتداد، سواء استعمل في معنى الجلد، أو جلد السخلة الماعز، كما في الحديث : " أن امرأة

---

(١) تفسير البغوي .

(٢) البيت من " الرمل " ولم أجده في ديوانه، ولا في ذيل الديوان، وينظر في روح المعاني ٢١٨/١٢ .

(٣) تفسير الثعلبي ١٠ / ٥١، ٥٢ .

(٤) سورة ص : من الآية ١٦ .

(٥) الفائق في غريب الحديث ٣ / ٢١٠ .

(٦) تفسير العز بن عبد السلام ٣ / ٧٥ .

أرسلت إلى رسول الله (ﷺ) بجديين مرضوفين، وَقَدٍ " أراد سقاء صغيراً متخذاً من جلد السخلة فيه لبن [1]. أو استعمل في معنى القامة، وهو معنى مجازي، يقال : جارية حسنة القد، وهو القوام . [2]

ثانيهما : أن العلماء نقلوا عن أبي زيد الأنصاري أن القد يرادف (القت)، ولم يذكر أحد منهم أن (القد) يرادف (القط)، قال الأزهري : " قال أبو زيد : هو حسن القد، وحسن القت بمعنى واحد، وأنشد :

كأن ثَدْيَيْها إذا ما ابرنتى .. حُقانِ من عاج أُجِيدا قَتَّا [3]

القبص والقبض :

فرق ابن جني دلاليًا بين (القبص) بالصاد المهملة، و(القبض) بالضاد المعجمة ــ في توجيهه لقراءة ابن مسعود، وأبي بن كعب (وآخرين) : ﴿ فَقَبَصْتُ قَبْصَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ [4] بالصاد فيهما ــ فقال : " القبض بالضاد معجمة : باليد كلها، وبالصاد غير معجمة بأطراف الأصابع . وهذا مما قدمت إليك في نحوه (تقارب الألفاظ لتقارب المعاني) [5] وذلك أن الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها ما جعلت عبارة عن الأكثر، والصاد ؛ لصفائها، وانحصار مخرجها، وضيق محلها ما جعلت عبارة عن الأقل .... " . [6]

المتأمل في كلام ابن جني يجده يفرق بين اللفظين من جهة (العموم والخصوص) إذ القبض عنده أعم من القبص بالصاد المهملة ؛ لأنه يشمل اليد كلها . أما (القبص) فهو خاص بأطراف الأصابع فقط .

فالمعاني وإن تقاربت لتقارب اللفظين، إلا أنها في حقيقتها قد اختلفت، ومرجع ذلك الاختلاف هو طبيعة وخواص أصوات العربية، ومدى مناسبتها للمعنى الذي ينبغي أن تستعمل فيه

---

(١) النهاية ٤ / ٢١، واللسان، والتاج (ق د د) .

(٢) أساس البلاغة (ق د د) .

(٣) البيتان من " الرجز " ولم أهتد لقائلهما، وينظران في : تهذيب اللغة ٨ /٢٢٢، واللسان، والتاج (ق د د) و (ابرنتى : انتصب) .

(٤) سورة طه : من الآية ٩٦: ﴿ قَبَضْتُ قَبْضَةً ﴾ قراءة الجمهور بالضاد والعجمة .

(٥) الخصائص ٢ / ١٤٧ ــ ١٥٤ .

(٦) المحتسب ٢ / ٥٥ (وما) زائدة في الموضعين .

فاللفظان وإن اشتركا في معنى الأخذ، إلا أنهما قد افترقا في نوعيته أو كيفيته على النحو الذي ذكره ابن جني .

وإنما خصت الضاد المعجمة في اليد جميعها ؛ لما تتسم به من صفات القوة، كالتفشي والاستطالة[1] ؛ ولذا ناسب ما كثر حجمه أو عدده، على حين استعملت الصاد المهملة — وهي أضعف من الضاد المعجمة، ومنحصرة المخرج — فيما قل حجمه أو عدده كثيراً، فلا يحتاج إلا إلى أطراف الأصابع .

وقد تفرد ابن جني (رحمه الله) بهذه التفرقة الدقيقة المبنية على خصائص العربية وسماتها، ولم ترد عند غيره — فيما أعلم — من العلماء قبله أو بعده إلا على سبيل التأثر به، أو النقل عنه كما فعل الألوسي، حيث قال : " وفرقوا بين القبض بالضاد المعجمة، والقبص بالصاد، بأن الأول الأخذ بجميع الكف، والثاني الأخذ بأطراف الأصابع، ونحوهما الخضم بالخاء وللأكل بجميع الفم، والقضم بالقاف : للأكل بأطراف الأسنان، وذكر أن ذلك مما غير لفظه لمناسبة معناه، فإن الضاد المعجمة للثقل، واستطالة مخرجها — فيما يدل على الأكثر، والصاد — لضيق محلها وخفائه — جعلت فيما يدل على القليل " .[2]

وباستقراء كتب اللغة نجد أن معظم علماء العربية على التفرقة بين اللفظين من جهة الاستعمال وعلى النحو الذي ذكره ابن جني، يقول الخليل بن أحمد : " القبص : التناول بأطراف الأصابع، ويروي : ﴿ قَبَصْتُ قَبْصَةً ﴾ أي : أخذت من أثر دابة جبرئيل (عليه السلام) من التراب بأطراف أصابعي، وفَرَس قَبوص، أي : إذا جرى لم يصب الأرض إلا أطراف سنابكه من قُدُم، ويقال : هو الرشيق الخَلْق، قال :

---

(١) التفشي : هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه عند الخروج بها، والشين تتفشى في الضم حتى تتصل بمخرج الظاء . أما الاستطالة في الاستطالة عن الفهم عند النطق بالضاد، حتى يتصل بمخرج اللام، وذلك لما فيه من القوة بالجهد، والإطباق، والاستعلاء . ينظر : الرعاية لتجويد القراءة / علي بن أبي طالب : ١٣٤، ١٣٥، والنشر في القراءات العشر / لابن الجزري ١ / ٢٠٥ .

(٢) روح المعاني ١٦ / ٢٥٣ .

* سليمُ القبصِ طَهْطاةٌ قَبُوصُ [1] * [2]

كذا فرق بينهما ابن السكيت، وأبو حاتم، وابن دريد، وابن فارس، وابن سيده، والراغب الأصفهاني، وابن منظور، والفيروز أبادي، والزبيدي [3]، وبهذه التفرقة بين اللفظين أخذ المفسرون، وأصحاب المثلثات. [4]

وعلى هذا فلا عبرة بقول اللحياني : " يقال : تَصَافَوْا على الماء وتضافوا، ويقال : صَلاصلُ الماء وضلاضله : لبقاياه، وقبضت قبضة، وقبصت قبصة "[5]. أي: أنهما مترادفان، وذلك لما يأتي :

أولا : إجماع علماء العربية في مختلف العصور ــ كما سبق ــ على التفرقة بين اللفظين .

ثانيا : أن علماء العربية قد ذكروا أن القبص بالصاد المهملة يرادف القَرْزَ، قال ابن دريد: " القَرْزُ : هو قبضك التراب وغيره بأطراف أصابعك، نحو القبص ".[6]

أما القبض بالضاد المعجمة فيرادف الطي والأخذ، فالألفاظ الثلاثة (القبض، والأخذ، والطي) بمعنى واحد، وهو الجمع، كذا قال القاضي عياض . [7]

ثالثا : بالرجوع إلى مصادر اللغة يتأكد الفرق بين اللفظين، فقد جاء القبض بمعنى ملء

---

(١) شطر بيت من " الوافر " وينظر في العين ٥ / ٦٩، ٣ / ٤٧، واللسان (ق ب ص) .

(٢) العين ٥ / ٦٩ .

(٣) ينظر على التوالي : إصلاح النطق : ٦، والدر المنثور ٥ / ٥٥٦، والجمهرة ٢٩٨/١، ٣٠٣ ومقاييس اللغة ٥ / ٤٨ ــ ٥٠ (ق ب ص ــ ق ب ض)، والمحكم ٦ / ٢١٧، والمفردات ٣٩٠/١، واللسان، والقاموس، وتاج العروس (ق ب ص) .

(٤) ينظر : تفسير الطبري ١٦ / ٢٠٦، والقرطبي ٦ / ٤٤١٤، وزاد المسير ٣١٨/٥، ومفاتيح الغيب ٣٤/١١ والبحر المحيط ٢٧٣/٦، وروح المعاني ٢٥٣/١٦، والمثلث للبطليوسي ٣٦١/٢ .

(٥) الأمالي للقالي ٢ / ٢٥، واللسان (ص ف ا) .

(٦) جمهرة اللغة ٣ / ٣٢٤ (ر ز ق) .

(٧) مشارق الأنوار ٢/ ١٧٠ (ق ب ض)، وفتح الباري ١١ / ٣٧٢ .

الكف، كما في حديث حنين، وفيه : " فلما غَشُوا رسول الله (ﷺ) نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال : شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة .. "[1] الحديث .

ومنه حديث أنس : " أن أم سليم بعثت بقناع فيه رطب إلى النبي (ﷺ) فجعل يقبض القبضة فيبعث بها إلى بعض أزواجه، ثم يقبض القبضة فيبعث بها إلى بعض أزواجه ... "[2] الحديث

ومنه قول أسامة بن منقذ :

ويصبحُ بسطُ الكفِ بالمالِ عندنا ∴ وكل مليكٍ عنده القبضُ والبسطُ[3]

وكذلك قول ابن زيدون :

وإن يَأْبَ إلا قبضَ مبسوطِ فضله ∴ ففي يدِ مولىً فوقه القبضُ والبسطُ[4]

أما (القبص) بفتح القاف، وسكون الباء، وصاد مهملة فهو الأخذ بأطراف الأصابع، ومنه حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : إن الله (عز وجل) ليدخل بلقمة الخبز، وقبصة التمر، ومثله مما ينفع المسكين ثلاثة الجنة : الآمر به، والزوجة المصلحة له، والخادم الذي يناول المسكين " فالقبضة بفتح القاف وضمها، وبالصاد المهملة : ما يتناوله الآخر برؤوس أصابعه الثلاث " .[5]

ومنه قول أبي الجهم الجعدي :

قالتْ له وأقْبصتْ من أَثَرِهْ ∴ يا ربِّ صاحبْ شيخَنا في سفرهْ[1]

---

(١) مسلم ــ باب غزوة حنين ــ ٣ / ١٤٠٢ ــ حديث رقم ١٧٧٧ .

(٢) صحيح ابن حبان ٢ / ٤٦٩ (حديث رقم : ٩٦٥) .

(٣) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه ١٧٦ .

(٤) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ٦٤ .

(٥) الترغيب والترهيب للمنذري ــ كتاب الصدقات ــ باب الترغيب في أداء الزكاة وتأكيد وجوهها ٢ / ٣٥ (حديث رقم : ١٤٠٠) .

سـفرة[1]

أي : أخذت قبصة من أثره في الأرض فقبلته . [2]

النَّضْحُ والنَّضْخُ :

فرق ابن جني (رحمه الله) دلاليًا بين (النضح) بالحاء المهملة، و(النضخ) بالخاء المعجمة، فقال : " النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح، قال الله (سبحانه) : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [3] فجعلوا الحاء ـ لرقتها ـ للماء الضعيف الذي يخف أثره، والخاء ـ لغلظها ـ لما هو أقوى منه " . [4]

وقال في موضع آخر : " وقالوا : النضح بالحاء غير معجمة : للماء السخيف يخف أثره . وقالوا : النضخ بالخاء لما يقوى أثره، فيبل الثوب ونحوه بللاً ظاهراً ؛ وذلك لأن الخاء أوفى صوتا من الحاء . ألا ترى إلى غلظ الخاء ورقة الحاء ؟ " . [5]

من النصين السابقين يتضح أن ابن جني قد فرق بين اللفظين في المعنى، معتمداً في ذلك على خصائص الأصوات، وما تتسم به من أداء وصفة . فالخاء لما فيها من استعلاء وتفخيم أقوى صوتاً من الحاء المستفلة، المرققة . [6]

وهذا الفرق ـ في طبيعة كل منهما ـ تبعه فرق معنوي، فاللفظان اتحدا في فاء الكلمة وعينها، واختلفا في لامها، وهذا الاختلاف نتج عنه اختلاف في المعنى بينهما، وإن تقاربا فيه، فالنضح بالحاء المهملة يستعمل في الماء الضعيف، كالرش، والنضخ بالخاء المعجمة يستعمل فيما ثخن

---

(١) البيتان من " الرجز " وينظران في الفائق ٣ / ١٥٤ (ق ب ص) .

(٢) الفائق في غريب الحديث ٣ / ١٥٤ (ق ب ص) .

(٣) الرحمن : آية ٦٦ .

(٤) الخصائص ٢ / ١٦٠ .

(٥) المحتسب ٢ / ١٩ .

(٦) الدلالة الصوتية عند ابن جني : ٨٦٥ .

أو كثر من الماء .

وما أورده ابن جني من هذه التفرقة بين اللفظين سبقه إليه علماء ـــ لكن دون نظر إلى خصائص الأصوات في العربية ـــ كالأصمعي الذي يقول : " ما كان من فِعْلِ الرجل فهو بالخاء غير معجمة، وأصابه نضخ من كذا بالخاء المعجمة، وهو أكثر من النضح " [1]، وقال ابن السكيت : " النضح مصدر نضحت البيت أنضحه : إذا رششته رشاً خفيفاً " [2] كما ذكر ابن قتيبة أن النضخ أكثر من النضح، ولا يقال في النضخ فعلت " [3]، كذا فرق بينهما ابن كيسان فقال : " إنه بالمعجمة، لما ثخن (أي: عظم)، وبالمهملة ؛ لما رق، فالنضخ بالخاء المعجمة : هو شدة فوران الماء في جيه انه وانفجاره من ينبوعه "[4] كما فرق بينهما ـــ أيضا ـــ ابن الأعرابي، والقالي، وابن فارس وغيرهم . [5]

وبهذه التفرقة أخذ المفسرون، كالزمخشري، والقرطبي، وابن الجوزي، وأبي حيان، والألوسي [6]، وشراح الحديث . [7]

وعلى هذا، فالنضح بالحاء المهملة يستعمل في الرش أو البل، أو هو ما دون الري أو دون الغسل . والنضخ بالمعجمة يستعمل في كثرة تدافع الماء، أو في الري والغسل، ومنه الحديث " المرأة تغسل ما أصاب ثيابها من دم الحيض، وليس النضح بشيء " [8] وفي التنزيل : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ

---

(١) الصحاح (ن ض خ) .

(٢) إصلاح المنطق : ٨٠، والصحاح (ن ض خ) .

(٣) أدب الكاتب ١ / ١٧٠ .

(٤) مشارق الأنوار ٢ / ١٦، وفتح الباري ١ / ٣٧٧ .

(٥) ينظر على التوالي : تهذيب اللغة ٤ / ٢١٢، واللسان، ومقاييس اللغة ٤٣٨/٥ (ن ض ح) و(ن ض خ)، والاقتضاب في أدب الكتاب / للبطليوسي ٢ / ١٠٧ .

(٦) ينظر على التوالي : الكشاف ٤ / ٣٦١، والقرطبي ٩ / ٦٥٨٥، وزاد المسير ٢٨٤/٨، والبحر المحيط ٧ / ١٩٨، وروح المعاني ٢٧ / ١٢٢ .

(٧) النهاية ٦٩/٥، ١٧، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٩٥/٣، وفتح الباري ٣٣٧/١ .

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ١ / ٩١ .

نَضَّاخَتَانِ ﴾ .

ومن العلماء من يسوى بينهما، كأبي زيد الأنصاري الذي يقول : " النضخ : الرش مثل النضح، وهما سواء، تقول : نضخت أنضخ بالفتح " [1] . وقال أيضا : " نضحته ونضخته بمعنى واحد . وقال : وسمعت الغنوى يقول : النضح والنضخ، وهو فيما بان أثره، وما رَقَّ بمعنى واحد " [2] . وقال أبو ليلى : " النضح والنضخ : ما رق وثخن بمعنى واحد " وقال ابن الفرج : " سمعت جماعة من قيس يقولون : النضح والنضخ واحد " . [3] وقد أورد القاضي عياض أن كلا منهما قد يستعمل فيما يستعمل فيه الآخر، فالنضح بالحاء المهملة يأتي بمعنى الغسل، والصب، والفوران[4]، كما أجاز ابن سيده، والزبيدي أن يكون النضح والنضخ لغتان بمعنى واحد . [5]

ولهذا الرأي وجاهته ؛ إذ نجد من حديث رسول الله ــ ﷺ ــ ما يؤيده، ومنه قول علي ابن أبي طالب : " كنت رجلا مَذَّاء (كثير المذي)، وكنت استحي أن أسأل النبي (ﷺ) لمكان ابنته، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله، فقال : " يغسل ذكره ويتوضأ " وفي رواية قال : (وتَوَضأ وانضحْ فرجْك " أي : اغسله ؛ فإن النضح يكون غسلا، ويكون رشا، وقد جاء في الرواية الأخرى : " يغسل ذكره"[6] فيتعين حمل النضح عليه . [7]

وعلى هذا فعلماء اللغة قد اختلفوا في القول بالتفرقة بين اللفظين في المعنى، أو بالتسوية بينهما، وقد أورد الخليل بن أحمد هذا الاختلاف، فقال : " النضح والنضخ ربما اختلفا، وربما اتفقا"[8]

---

(١) الصحاح (ن ض خ)، وتهذيب اللغة ٤ / ١٢٥ .

(٢) اللسان (ن ص ح) .

(٣) تهذيب اللغة ٤ / ١٢٥، واللسان (ن ض ح) .

(٤) مشارق الأنوار ٢ / ١٦(ن ض ح) .

(٥) المحكم ٣ / ١٣١ (ح ض ن) والتاج (ن ض ح) .

(٦) مسلم ــ كتاب الحيض ــ باب المذي ١ / ٢٤٧ (حديث رقم ٢٠٣)، وفيه الروايتان .

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ٣ / ٢١٣ .

(٨) العين ٣ / ١٠٦ (ح ص ن) .

والرأي الأول القائل بالتفرقة بين الرأيين هو الأوْلى ـــ من وجهة نظري ـــ لما يأتي :

أولا : الأصل في اللغة أن يكون لكل لفظ معنى قد وضع له أول الأمر، وإن شاركه في ذلك المعنى غيره فيما بعد ؛ لذا قال ابن فارس : " النون والضاد والحاء أصل يدل على شيء يندى، وماء يرش " وقال : " والنون والضاد والخاء قريب من الذى قبله إلا أنه أكثر منه " [1] وأورد الميداني في المثل : " ما كان مرسوماً لم ينضح " قوله : " النضح (بالمهملة) مثل الرشح، يعني : إذا كان السقاء مربوباً لم يرشح بما فيه، أي : إذا كان سرك عند رجل حصيف لم يظهر منه شيء " . [2]

ثانيا : أن النضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالمهملة هو قول أكثر أئمة اللغة .

ثالثا : أن استعمال النضح في الغسل قليل ؛ لذا قال ابن عبد البر : " وقد يسمى الغسل ـــ في بعض كلام العرب ـــ نضحاً " [3] فـ(قد) هنا يفيد التقليل، لا التوكيد، ولا التحقيق .

رابعا : أورد بعض العلماء، كابن الأعرابي أن : " النضح والنشح واحد "[4] أي: مترادفان.

وعلى ذلك فإن مجيء النضح والنضخ بمعنى واحد ـــ كما ورد في الأمثلة السابقة ـــ يعد قليلاً،ولعله من قبيل التوسع، أو الخطأ في السمع، أو الخطأ في الرواية، أو من قبيل التصحيف، وكثيراً ما يقع، والله أعلم .

الهَسّ والهَشّ :

فرق ابن جني (رحمه الله) دلاليا بين (الهس والهش) وذلك عند توجيهه لقراءة : ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ [5] فقال : " من ذلك قراءة عكرمة : " وأَهُسُّ " بالسين. وقرأ إبراهيم (

---

(١) مقاييس اللغة ٥ / ٤٣٨ (ن ض ح) ٥ / ٤٣٨ (ن ض خ) .

(٢) مجمع الأمثال ٣ / ٣٤٧ .

(٣) التمهيد ١ / ١٦٥ .

(٤) التهذيب ٤ / ١٢٦، واللسان (ن ض ح) .

(٥) سورة طه : من الآية ١٨ .

ابن أبي عبلة) : " وإهشُّ " بكسر الهاء وبالشين " قال أبو الفتح : " أما (أهش) بكسر الهاء وبالشين معجمة، فيحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون أميل بها على غنمي : إما لسوقها، وإما لتكسير الكلأ بها لقراءة من قرأ : " أهش " بضم (الهاء) والشين المعجمة، يقال : هش الخبز يهش : إذا كان جافاً يتكسر لهشاشته.

والآخر : أن يكون أراد " أهش " بضم الهاء، أي : أكسر بها الكلأ لها ... وأما "أَهُسُّ " بالسين غير معجمة، فمعناه : أسوق، رجل " هَسَّاسٌ "، أي : سوّاق.

فإن قلت : فكيف قال : " أهس بها على غنمي " ؟ وهلا قال : أهس بها غنمي، كقولك:أسوق بها غنمي ؟ قيل : لما دخل السوق معنى الانتحاء لها، والميل بها عليها استعمل معها (على) حملاً على المعنى .... " [1].

من النص السابق يتبين أن ابن جني يقول بالتفرقة بين اللفظين في المعنى، وذلك لاختلاف صوتي السين والشين، وأن الفرق بينهما (من جهة ما يستعمل فيه اللفظان)، فـ(الهس) بالسين المهملة يستعمل في سوق الغنم أو زجرها،وكان هذا الأمر يقتضي أن يعدي الفعل (أهس) بالباء، دون أن يقترن من وقع عليه الفعل بحرف آخر كـ(على)، مما جعل ابن جني يعلل لدخول (على) ــ هنا ــ بالحمل على المعنى، أو ما يسمى بـ(التضمين) أي : تضمن الفعل معنى فعل آخر : فـ(أهس) ــ هنا ــ قد تضمن معنى : انتحى وأميل . [2]

أما (الهش) بالشين المعجمة فيستعمل فيما كان رخواً ليناً، يتكسر بسهولة؛ لهشاشته، كالكلأ . [3]

وباستقراء كتب اللغة نجد أن علماء العربية قد اختلفوا في هذين اللفظين على رأيين :

---

(١) المحتسب ٢/ ٥٠، ٥١ .

(٢) السابق٢ / ٥٠، ٥١ .

(٣) روح المعاني ١٦/ ١٧٥ .

الأول : يرى جمهور العلماء التفرقة بين اللفظين (من جهة ما يستعمل فيه اللفظان)، وأن الهش : هو خبط الشجر، وإلقاء الورق عنه، والهس : زجر الغنم.[1]

أما ابن فارس فقد فرق بين اللفظين (من جهة اعتبار حقيقة اللفظين في أصل اللغة) فقال: " الهاء والسين أصيل يدل على أصوات واختلاط، كالهسيس" و" الهاء والشين أصل صحيح يدل على رخاوة ولين، والرخو اللين هش .. ومن الباب : هششت الورق هشا : خبطته بعصًا " .[2]

الثاني : يرى بعض العلماء أن اللفظين مترادفان، قال القرطبي : " وقرأ عكرمة : " وأهس " بالسين غير معجمة، قيل : هما لغتان بمعنى واحد " [3] ووافقه على ذلك العز بن عبد السلام، والشوكاني . [4] ونقل الألوسي عن الفيروز أبادي أنهما بمعنى واحد، فقال : " وفي كتاب السين والشين لصاحب القاموس، يقال : هس الشيء، وهشه : إذا فته وكسره، فهما بمعنى " .[5]

وكونهما لغتان بمعنى واحد، يعني : تعاقب السين والشين، وإبدال أحدهما من الآخر، وهذا ما أجازه الخليل بن أحمد، قال النضر بن شميل : " سألت الخليل عن قراءة عكرمة، فقال : العرب تعاقب بين الشين والسين في كثير من الكلام، كقولهم : شمت العاطي وسمته، وشن عليه الدرع وسن، والروشم والروسم للختم " .[6]

وأرى أن القول بالتفرقة ــ في المعنى تبعاً لاختلاف اللفظين ــ هو الأرجح لما يأتي :

أولا : أن القول بتعاقب السين والشين ــ وإن كان قد ورد في بعض كلمات العربية [7]

---

(١) العين ٣ / ٣٤٣ ــ ٣٤٥، وجمهرة اللغة ١ / ٩٦، ١٠٠ (هــ س س) و(هــ ش ش) ــ والكشاف ٣ / ٤٥، والقرطبي ٦ / ٤٣٥٩، والمفردات في غريب القرآن ٥٤٣/١ ، ومفاتيح الغيب ١٠ / ٥٥٨ .

(٢) مقاييس اللغة ٦ / ٩ (هــ س) و(هــ ش) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٤٣٥٩ .

(٤) تفسير العز بن عبد السلام ٢ / ٢١٦، وفتح القدير ٣ / ٣٦١ .

(٥) روح المعاني ١٦ / ١٧٥ .

(٦) تفسير الثعلبي ٦ / ٢٤٢ .

(٧) الإبدال لابن السكيت : ١٠٩، ولأبي الطيب اللغوي ٢ / ١٥٥ وما بعدها .

وتقره القوانين الصوتية ؛ لما بين الصوتين من تقارب في المخرج، واشتراك في أكثر الصفات ـ إلا أنه في (هس وهش) لم أعثر في كتب الإبدال ما يدل على أن أحدهما مبدل من الآخر .

ثانيا : باستقراء كتب اللغة والرجوع إليها يتضح التفرقة بين اللفظين باعتبار حقيقتهما في أصل اللغة كما ذكر الخليل بن أحمد أن : الهش : كل شيء فيه رخاوة [1] ووافقه ابن فارس، وابن سيده . [2]

ومنه أن يخبط الرجل بعصاه الشجر فيتساقط الورق، وهو قول الفراء والأصمعي، أو أن يضع المحجن في الغصن، ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره، ولا يكسر العود، وهو قول الليث [3]. وعليه قول الراجز :

أَهُشُّ بالعصا على أغنامي .·. من ناعم الأراك والبسام [4]

وقول محي الدين بن عربي :

حتى يرى فِعْلكمُوا فعلَه .·. كمثل عصى موسى في عصا الهَشِّ [5]

وفي الحديث أن النبي (ﷺ) نهى عن الخبط، وقال : " هُشُّوا وارْعُوا " [6]، وفيه ـ أيضا ـ : " أن النبي (ﷺ) قال : لا يخبط ولا يعضد حمى رسول الله (ﷺ) ولكن يهش هشاً رقيقاً " [7]، أي : انثروه نثراً بلين ورفق . [8]

---

(١) العين ٣ / ٣٤٣ (هـ ش) .

(٢) المقاييس ٦ / ٩، والمحكم ٤ / ٨٨ (هـ ش) .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣ / ٢٥٧، واللسان (هـ ش ش) .

(٤) البيتان من " الرجز " وهما في القرطبي ٤٣٥٩/٦، برواية (والبشام) بدل (البسام) وفتح القدير ٣ / ٣٦١ .

(٥) البيت من " السريع " وينظر في ديوانه ٥٧٤ .

(٦) النهاية ٢ / ٧ (خ ب ط) .

(٧) السنن الكبرى للبيهقي ٥ / ٢٠٠ (حديث رقم ٩٧٥٨)، والنهاية ٥ / ٢٦٤ .

(٨) النهاية في غريب الحديث ٥ / ٢٦٤ (هـ ش ش) .

أما الهس بالسين غير معجمة فهو عام في كل ما له صوت خفي [1]، ومنه زجر الغنم كما سبق، ومنه صوت أخفاف الإبل، ويقال له : الهساهس، كما في قول الراجز :

إذا عَلوْنَ الظفـرَ ذا الـضَّماضِمِ .. هَسَاهِـسًا كالهَـدِّ بالجمـاجِمِ [2]

تَنَسَّمَ وتَنَشَّمَ :

من الألفاظ التي فرق بينها ابن جني دلاليا (تنسم) بالسين المهملة، و(تنـشم) بالـشين المعجمة، فقال : " .... أما قولهم : تنسَّمت منه علماً، وتنشَّمت فليس واحد من الحرفين بدلاً من صاحبه ؛ لأن لكلّ واحد منهما وجهاً قائماً . أما (تنسمت) فكأنـه مـن النـسيم، كقولـك : استروحت منه خبراً، فمعناه : أنه تلطف في التماس العلم منه شيئاً فشيئاً، كهبوب النسيم .

وأما (تنشمت) فمن قولهم : نَشَمْتُ في الأمر، أي : ابتدأتهُ، ولم أوغل فيـه، وكـذلك تنشمت منه، أي : ابتدأت بطرف من العلم عنده، ولم أتمكن فيه " . [3]

من النص السابق يتبين أن ابن جني قد فرق بين اللفظين، نتيجة لاختلاف صوتي الـسين والشين ـــ مراعياً (حقيقة كل منهما في أصل اللغة) فالتنسم وإن استعمل في موضع هو أصل في (التنشم) كالعلم مثلا، إلا أنه شيء بعد شيء، كهبوب النسيم . لا أول شيء لم يتعمـق فيـه، أو يوصل إلى غايته كالتنشم .

وقد أكد ابن جني هذا الاستعمال لـ(نشم) في حديثه عن مجيء الألف أصلاً إذا كانت آخر الحروف، كـ(ما، ولا، ويا، وهيا، وإلا) فيقول عن (إيا) : "ولست أعرف أحـداً مـن أصحابنا خاض فيها إلى ههنا، ولا قارب هذا الموضع أيضاً، بل رأيت أبا علي وقد نَشَمَ فيها شـيئاً من القول يسيراً، لم يستوف الحال فيه، ولا طار بهذه الجهة " . [4]

وما أورده ابن جني من الفرق بين (تنسم وتنشم) وليس أحدهما مبدلاً من الآخر، انقسم

---

(١) الصحاح، واللسان، والتاج (هـ س س) .

(٢) البيتان من " الرجز " وينظران في تهذيب اللغة ٥ / ٣٥٠ واللسان، والتاج (هـ س س) .

(٣) سر صناعة الإعراب ١ /٢١٨ .

(٤) سر صناعة الإعراب ٢ /٤٠٣ .

العلماء حياله إلى فريقين :

الأول : يرى بعض العلماء أن اللفظتين لغتان بمعنى واحد، يقول ابن السكيت: " ويقال تنسمت منه علماً، وتنشمت " [1] ووافقه على ذلك أبو الطيب، والقالي، وابن سيده، والسيوطي . [2]، وقال محمد بن موسى المليانى الأحمدي : " والشين لغة، وتنسمت منه علماً : أخذته، قال الشاعر :

أحبك حُبَّ العودِ ماء بقفرةٍ .·. تنسم تحت الليل سمت المواردِ[3]

الثاني : يوافق ابن جني على التفرقة بين اللفظين في المعنى، وإن بدت العلاقة بين الصوتين المتمثلة في قرب مخرجيهما، واشتراكهما في أكثر الصفات، يقول ابن فارس: " النون والسين والميم أصل صحيح يدل على خروج نَفَسٍ أو ريح غير شديدة الهبوب "، والنون والشين والميم يدل على نشوب شيء، ونَشَمُوا في الأمر : أخذوا فيه، ويقال : لا يكون إلا في الشر ... ونشَّم اللحم تنشيماً، أي : ابتدأت فيه رائحة، وشذ عنه النشم : شجر يتخذ منه القسي " . [4]

وقد ردد كلام ابن جني كل من ابن سيده، وابن منظور [5]، كذا فرق بينهما الحريري فقال : " قالوا : تنشمت منه علماً وتنسمت، فمن قاله بالسين المهملة جعل اشتقاقه من النسيم، وشبه ما يشدوه منه حالاً بعد حال، وفي الوقت بعد الوقت باستنشاق النسيم . ومن قاله بالشين المعجمة : أخذه من قولهم : نَشَمَ الناس في الأمر أي : ابتدأوا به، إلا أن الأصمعي يرى أن هذه اللفظة لا تستعمل إلا في الشر ...وقد جاء أيضا في الآثار والأشعار ألفاظ رويت بهذين الحرفين على اختلاف المعنيين، فقد جاء في صفته (ﷺ) أنه كان منهوس القدمين (العقبين) [6] " أي قليل

---

(١) الإبدال : ١١٠ .

(٢) ينظر على التوالي : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١ / ١٥٤، والأمالي ٢ / ١٢٥، والمخصص ٣٧٨/١٣، والمحكم ٨ / ٣٣ (ن س م)، والمزهر ١ / ٣٢١ .

(٣) البيت من "الطويل " في معجم الأفعال المتعدية بحرف ١ / ٣٧٩ .

(٤) مقاييس اللغة ٥ / ٤٢١، ٤٢٨، (ن س م)، و(ن ش م)، والفائق في غريب الحديث ٣ / ٤٣٠ .

(٥) المحكم ٨ / ٥٣٣، واللسان (ن س م) .

(٦) مسلم ــ فضائل ٤ / ١٨٢٠ حديث رقم (٢٩٣٣)، والنهاية ٥ / ١٣٦ (ن و ص) .

لحمهما" [1]. ثم ذكر طائفة كبيرة من الألفاظ رويت بالسين تارة، وبالشين تارة أخرى، والمعنى في الروايتين مختلف، مثل : النهس بالشين : ما كان بالأضراس، وبالسين المهملة : لما كان بأطراف الأسنان، والشهر قد تشعشع، أي : قل ما بقي منه، وقد تسعسع، أي: أدبر، وفنى ... " . [2]

وعلى الرغم من أن أكثر علماء العربية على التفرقة بين اللفظين في المعنى، إلا أننا وجدنا خلافا فيما بينهم في حقيقة أو أصل (نشم) على قولين :

(١) أن التنشيم عام في الابتداء، أي : يطلق على الابتداء في كل شيء كما ذكر ابن جني، وقد سبقه إلى هذا الرأي ابن الأعرابي [3]، ووافقه ابن فارس، وابن سيده، وابن منظور. [4]

(١) درة الغواص في أوهام الخواص للحريري : ١٥٦ / ١٥٧ .

(٢)درة الغواص في أوهام الخواص للحريري: ١٥٧ .

(٣) تهذيب اللغة ١١ / ٢٦١ (ش ن م) .

(٤) المقاييس ٥ / ٤٢٨ (ن ش م)، والمحكم ٩ / ٣٨٩ (ش ن م)، واللسان (ن ش م) .

ومما يؤيد هذا الرأي ما أنشده ابن الأعرابي :

قد اغتدى والليلُ في حريمِه .·. والصبحُ قد نشَّم في أديمِه[1]

كذا قولهم : نشَّم اللحم تنشيما : تغير وابتدأت فيه رائحة كريهة . وقيل : تغيرت ريحه ولم يبلغ النتن، ومنه قول علقمه :

وقد أُصاحبُ فِتيانًا طعامهمُ .·. خُضْرُ المزادِ ولحمٌ فيه تنشيمُ[2]

أي : يطعمون الماء المطحلب أو الفظوظ، واللحم المروح، غلب فقال : طعامهم .[3]

(٢) أن التنشيم يكون في الشر خاصة، وقد ذهب إلى هذا الرأي أبو عمرو ابن العلاء، والأصمعي، وابن دريد، وابن الجوزي، وابن الأثير .[4]

ومما يؤيد هذا الرأي ويدعمه ما ورد في المثل : " دقوا بينهم عطر مَنْشِمٍ " قيل: هو الشر بعينه وقيل : أصله في الشيء إذا أخذ فيه، ولا يقال إلا في الشر [5]. ويضرب مثلا للشر العظيم، ومنه قول زهير بن أبي سلمى :

تداركتُما عبسًا وذبيانَ بعدما .·. تَفانوْا ودقوا بينهم عطر منشمِ[6]

وفي حديث قتل سيدنا عثمان : " لما نشَّم الناس في أمره " أي : طعنوا فيه، ونالوا منه، يقال : نشم القوم في الأمر تنشيما : إذا أخذوا في الشر .[7]

---

(١) البيتان من " الرجز " ولم أهتد لقائلهما، وينظران في التهذيب ١١ / ٢٦١، والمحكم ٢٦١/٩ (ش ن م)، واللسان (ن ش م) .

(٢) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ٦١، وأساس البلاغة ٢٤٥/٢، واللسان برواية (شرابهم) .

(٣) أساس البلاغة ٢ / ٤٤٥ .

(٤) ينظر على الترتيب : تهذيب اللغة ١١ / ٣٨١، والمحكم ٨ / ٨٠ (ش ن م)، وجمهرة اللغة ٣٦٩/٢ (ش م ن)، والنهاية في غريب الحديث ٥ / ٥٨ (ن ش م) .

(٥) جمهرة الأمثال ١ / ٤٤٤ .

(٦) البيت من " الطويل " وهو في ديوانه : ١٠٦ وتهذيب اللغة ٨ / ٢٧١، والصحاح (ن ش م)

(٧) أساسي البلاغة ٢ / ٤٤٥ (ن ش م) .

والرأي الأول هو الأولى بالقبول ؛ وذلك أن أصل " التنشيم " عام في ابتداء كل شيء، ثم انتقل بعد ذلك عن طريق المجاز إلى الاستعمال في الشر خاصة، يؤيد ذلك قول الزمخشري : ومن المجاز : نشموا في الشر، ودقوا بينهم عطر منشم "[1] ؛ إذ المجاز مرحلة تالية للتحقيق وإن بعد عهده عنا .

وعلى هذا فالقول بالتفرقة بين لفظتي (تنسم وتنشم) هو الأوْلى بالقبول من اتحاد معنيهما، لما يأتي :

أولا : أن كثيراً من الآثار والأشعار قد جاء فيها ألفاظ رويت بهذين الحرفين، قد اختلف معناهما، وهو الأصل في بابه .[2]

ثانيا : على الرغم من أن القول باتفاق اللفظين معنى له ما يؤيده كما سبق، وكما أورد الجوهري : " نَسَمُ الريح بفتحتين : أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد، ومنه الحديث : " بعثت في تنسيم الساعة " [3] أي : حين ابتدأت وأقبلت أوائلها "[4] وكما في قول الشاعر :

فإن الصبَّا ريحٌ إذا ما تَنَشَّمتْ .. على كبد محزون تجلتْ هُمُومُها[5]

إلا أن التفرقة بينهما أقيس ؛ إذ يمكن تأويل الحديث : " نسم الساعة " بما فسره به ابن الأعرابي، وهو ضعف هبوبها [6]، وتفسير قول الشاعر : " تنشَّمتْ على كبد " بمعنى : هبت .[7]

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٥ / ٥٩ .

(٢) ينظر غير ما سبق النهاية ٥ / ٤٩، ٥٩، واللسان (ن س م)، و(ن ش م) .

(٣) الفائق في غريب الحديث ٣ / ٤٢٢، والنهاية ٥ /٤٩ (ن س م) .

(٤) الصحاح، واللسان (ن س م) .

(٥) البيت من " الطويل " وينظر في : تهذيب اللغة ١٣ / ١٨، والمخصص ١٦ / ١٨٦، واللسان والتاج (ن س م) .

(٦) تهذيب اللغة ١٣ / ١٨، واللسان والتاج (ن س م) .

(٧) السابق : المصدر والصفحة .

المبحث الثاني

" الفروق الدلالية في الصوائت (الحركات) "

لا تقل الصوائت (الحركات) أهمية عن الأصوات الصوامت في التفرقة بين المعـاني ؛ إذ تؤدي وظائف كبرى على قدر كبير من الأهمية، منها :

(١) ما أشار إليه الخليل بن أحمد ـــ فيما نقله عن سيبويه ـــ إلى إحدى الوظائف الصوتية للحركات، إذ يقول : " وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحـق الحـرف ليوصل التكلم به " . (١)

ومعنى هذا أن الحركات ـــ من الناحية الفسيولوجية ـــ بما فيها من حرية انطـلاق دون إعاقة في المجرى تمكن من ربط الصوامت في أثناء التكلم، حيث إن الصوامت لا يمكن النطـق بهـا دون حركات .

ومن الناحية (الإدراكية) تساعد الحركات ـــ بما لها من قوة إسماع ـــ علـى وضـوح الصوامت في أثناء النطق، وبخاصة تلك الصوامت الوقفية المهموسة، كالتاء والكاف . ومـن هنـا تجيء الأهمية الوظيفية للحركات في الدراسة المقطعية، حيث تشكل الحركات في العربيـة قمـم المقاطع دائماً . (٢)

(٢) وتأتي الأهمية الوظيفية للحركات أيضا ـــ وهو ما يعنينا هنا ـــ من استقلالها في توجيه الدلالة، فجذر الكلمة ـــ وهو مكون من أصوات صامتة ـــ يحتوي بالقوة على معاني مشتقاتها . إذا دخلت عليه الحركات أخرجت هذه المعاني من حيز القوة إلى حيز الفعل، أي أنها تقوم بالتفرقة بين الصيغ المختلفة للمادة الواحدة وهذا ما كان يعبر عنه ابن جني بالاشتقاق الصغير أو الأصغر. (٣)

---

(١) الكتاب لسيبوية ٤ / ٢٤١، ٢٤٢ .

(٢) ينظر : علم الصوتيات للدكتور : عبد الله ربيع محمود، والدكتور : عبد العزيز أحمد علام : ١٥٥ ـــ ١٥٧، والحركات العربية : في ضوء علم اللغة الحديث / للدكتور : الموافي البيلي: ٣٨، ٣٩ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٣٥، ١٣٦، والحركات العربية : ٣٩، وعلم الصوتيات : ١٦٠ .

ويقول ابن درستويه : " اعلموا أنه ليست كلمة تأتي بحركتين مختلفتين إلا لاختلاف معنيهما، ولا يجوز أن تختلف الحركتان والمعنى فيهما واحد ؛ لأن كل حركة موضوعة لمعنى، كما أن كل حرف لمعنى، وإن كان كثير من اللغويين يتوهمون أن الكلمة قد تفتح وتضم بمعنى واحد ؛ لخفاء الفرق بينهما عليهم، واشتباه المعنيين عندهم " . (١)

ويقول أبو هلال العسكري : " وقال المحققون من أهل العربية : لا يجوز أن تختلف الحركتان في الكلمتين ومعناهما واحد " . (٢)

كما أوضح بعض الباحثين المعاصرين دور الحركة في تغير المعنى تحت عنوان : "وظيفة الحركات في التقابلات الثلاثية " بضرب الأمثلة من واقع كتب المثلثات في اللغة، وبين أن النسبة فيه تتجاوز التسعين في المائة لجانب المثلثات مختلفة المعنى، وهذا يدل على أن الحركة الصائنة لا تقل عن الصوامت في تغير المعنى . (٣)

وبنظرة فاحصة فيما أورده ابن جني من أمثلة نجد أنه كان حريصاً على بيان أثر الحركة في المعنى ؛ إذ بَيَّن أن الحركة إذا اختلفت بأن حل محلها حركة أخرى اختلف المعنى تبعاً لاختلافها، وهذا الأصل يبدو واضحاً في اللغة من قوله : " وذلك أن أعدل اللغة اختلاف الألفاظ لاختلاف المعاني، فإن اتفقت الألفاظ اختلفت الأمثلة، فإن اتفقت الألفاظ والأمثلة ووقع التغيير في بعض المثل قام مقام تغييرها كلها، وذلك نحو : غلا نغلو غلوا في القول، وغلا يغلو غلاء في السعر" .(٤)

كما أن لابن جني ملاحظات في غاية الدقة، فقد استطاع أن يدرك الوظيفة الدلالية للحركات، وبين أنها لا تقل عن الحروف (الصوامت) في بيان الفروق الدلالية، وتمييزها، فصيغة (مَفعل) إذا كانت الميم الزائدة مفتوحة، فالصيغة تدل على الحدث، أي : تكون مصدراً، وأن الشيء ثابت : وأما إذا كانت هذه الميم نفسها مكسورة فهي تدل على اسم الآلة، وهو غير ثابت،

---

(١) تصحيح الفصيح وشرحه : ٣٣٥ .

(٢) الفروق في اللغة : ١٢ .

(٣) ينظر : دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث / للدكتور : عبد الفتاح البركاوي : ١١٠ ــ ١١٢ .

(٤) المحتسب / لابن حني ٢ / ١٣٩ بتصرف، والدلالة الصوتية عند ابن جني : ٨٨٥ .

وذلك في قوله : (مَفعل ومِفعل) الحرف الزائد في أولهما للمعنى، وذلك أن (مَفعلا) يأتي للمصادر، نحو : ذهب مذهباً، ودخل مدخلاً، وخرج مخرجاً، (ومِفعلا) يأتي للآلات والمستعملات، نحو : مِطرق، ومروح، ومِخصف، ومئزر " .(١)

ثم يقول ابن جني في موضع آخر : " ومن ذلك قولهم للسلم مرقاة، وللدرجة مرقاة، فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي، وكسر الميم ما ينقل ويعتمل عليه، كالمطرقة والمئزر والمنجل، وفتحة ميم مرقاة تدل على أنه مستقر في موضعه، كالمنارة، والمثابة، ولو كانت المنارة مما يجوز كسر ميمها لوجب تصحيح عينها، فنفس (رق ى) يفيد معنى الارتقاء، وكسر الميم وفتحها تدلان على ما قدمناه من معنى الثبات أو الانتقال " .(٢)

فلفظ (المرقاة) تكون أصله من (الراء والقاف والياء) وأفاد حدثاً واحداً، ومعنى محدداً هو الرقي، وهو ما يسمى بالدلالة اللفظية، ولما صيغ منه المصدر الميمي صار (مرقاة) بفتح الميم تارة، وبكسرها تارة أخرى، وبالوجهين ورد في لغة العرب، مما جعل ابن جني يتلمس الفرق بين الوجهين، ذلك الفرق المبني على اختلاف الحركة وبمعنى أدق اختلاف الصيغة، وهو ما يسمى بالدلالة الصناعية .(٣)

ومثل ذلك ما أورده ابن جني في توجيه قراءة حسان بن عبد الرحمن في قوله تعالى : { وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً } (٤) إذ يقول : " القوام بفتح القاف : الاعتدال في الأمر، ومنه قولهم : جارية حسنة القوام، إذا كانت معتدلة الطول والخلق . وأما القوام بكسر القاف فإنه ملاك الأمر وعصامه . فكذلك قوله : " وكان بين ذلك قواما" أي : ملاكاً للأمر، ونظاماً وعصاماً " .(٥)

---

(١) الخصائص ١/٢٢٥، وينظر: الدلالة اللغوية عند العرب/ للدكتور: عبد الكريم مجاهد: ١٩٠ .

(٢) السابق ٣ / ١٠٢، ١٠٣، وينظر : الدلالة اللغوية عند العرب : ١٩٠ .

(٣) ينظر : ٥٨ من هذا البحث .

(٤) سورة الفرقان : من الآية : ٦٧ .

(٥) المحتسب ٢ / ١٢٥ .

وهكذا يتضح ما للحركات في العربية من دور بارز في توجيه المعاني، وتصويرها بدقة فائقة،مما يجعلنا ندرك مدى أهمية الحركة في الأدلة على المعاني،وفي الأبنية التي تتفق صورتها من حيث الحروف (الصوامت)، وهي بذلك تعد فونيما مستقلا لا يقل أهمية عن فونيم الحرف .[1]

وفيما سيأتي سأذكر ــ بمشيئة الله تعالى ــ أمثلة توضح مدى إدراك ابن جني لوظيفة الحركة في الدلالة على اختلاف المعاني .

أولا : بين الفتح والكسر

إدًّا وأدًّا :

فرق ابن جني دلاليا بين (الإد) بكسر الدال، و(الأد) بفتحها، عند توجيهه لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِداً ﴾[2] فقال : " قرأ السلمي : "شَيْئًا أَدًّا" بالفتح . والأَدُّ بالفتح : القوة، قال :

نَضَوْنَ عني شِرَّةً وأدًّا .. من بعد ما كنت صَمُلا نَهْدَا[3]

فهو ــ إذا ــ على حذف المضاف،فكأنه قال : لقد جئتم شيئا ذا أد، أي: ذا قوة ...".[4]

من النص السابق يتضح أن ابن جني قد أورد قراءة أبي عبد الرحمن السلمي : " أدا " بفتح الهمزة، وذكر أن معناها : القوة، ولم يعرض لقراءة الجمهور "إدا " بكسر الهمزة، ولم يذكر ــ بالتالي ــ معناها .

لكن بالرجوع إلى كتاب الخصائص نجده قد أورد ما يفيد معناها ؛ إذ جاء في (باب من غلبة الفروع على الأصول) لفظ " الإد " في بيت شعرى، وبين أن معناه : الأمر العظيم والعجب

---

(١) الدلالة الصوتية عند ابن جني : ٨٩٨ .

(٢) سورة مريم : الآية ٨٩ .

(٣) البيتان من " الرجز " دون نسبه، وينظران في الجمهرة ١ / ١٦، والصحاح واللسان (أدد) والمخصص ٢ / ٩٠، والمقاييس ١ / ١٢، والمحكم ٣١٢/٩ .

(٤) المحتسب ٢ / ٤٥، ٤٦ .

قال :

خُلقتِ غيرَ خلقة النسوانِ ∴ إنْ قمتِ فالأعلى قضيبُ بَانِ

وإن توليتِ فَدَعْصتانِ ∴ وكل إدٍّ تفعلُ العيْنانِ[1]

أي : أن العينين تفعلان كل أمر عظيم أو عجيب . وعلى هذا فإن ابن جني يكون قد فرق بين المعنيين، لاختلاف حركتي الفتحة والكسرة .

وبالرجوع إلى كتب اللغة، والقراءات، والتفسير يتضح أن علماء العربية قد اختلفوا في ذلك على رأيين :

أولا : يرى بعض العلماء أن (الإد) و(الأد) بفتح الهمزة وكسرها والآد، ثلاث لغات بمعنى واحد، قال الطبري : " وفي (الإد) ثلاث لغات، يقال : لقد جئت شيئاً إدا بكسر الألف، و" أدا " بفتح الألف، و(آدا) بفتح الألف ومدها على مثال قاد (فاعل) ... والعرب تقول لكل أمر عظيم : إد، وأمر، ونكر، ومنه قول الراجز :

لقد لقى الأعداءُ مني نُكْرًا ∴ داهيةً دهياءُ إداً إمراً [2]

وقال الثعلبي : " الإد في كلام العرب : أعظم الدواهي، وفيه ثلاث لغات "إد" بالكسر وهي قراءة العامة، و(أد) بالفتح وهي قراءة السلمى، و(آد) مثل: ماد،وهي لغة لبعض العرب"[3]،والأمر نفسه عند ابن عطية،والقرطبي، وابن منظور، والزبيدي، وغيرهم .[4]

ثانيا : يرى بعضهم الآخر التفرقة بين اللفظين ومن هؤلاء ابن سيده، يقول : " الإد والإدة : العجب، والأمر الفظيع العظيم، وجمع الإد آداد، وجمع الإدة إِدَدٌ، وأمر إِدٌّ وصف به، هذه عن

---

(١) الأبيات من " الرجز " وننظر في المحكم ١ / ٤٢٥، واللسان، والتاج (د ع ص) . بلا نسبة والدعصتان : تثنية (د ع ص)، وهو كوز من الرمل مجتمع .

(٢) البيتان من " الرجز " وينظران في، تفسير الطبري١٦ / ١٢٩، والصحاح، واللسان (أ م ر) برواية (لقد لقي الأقران) .

(٣) تفسير الثعلبي ٦ / ٢٣٢ .

(٤) ينظر على الترتيب المحرر الوجيز ٢ / ٣٣، والقرطبي ٦ / ٤٣٢٨، واللسان، والتاج (أدد).

اللحياني، وأنشد ابن دريد :

* يـا أُمَّنا ركبتُ أمراً إدَا *

* رأيتُ شبوحَ الذراع نَهْدَا *

* فَنِلتُ منه رَشْفًا وبَرْدَا *[1]

والإد : الداهية ... والأد : الغلبة والقوة .... " .[2]

والأمر نفسه أورده ابن مالك، فقال : " الأد : القوة، وترجيع الناقة ... والإد : الداهية والعجب " .[3]

وأرى أن التفرقة بين اللفظين أرجح، وأولى بالقبول من القول بترادفها ؛ لأن كلمة (الإد) بكسر الهمزة جاءت في الشعر العربي ـــ قديمه وحديثه ـــ وهو أول مصادر اللغة ـــ بمعنى : الداهية، أو الأمر العظيم، ولم يأت في معنى الشدة، أو القهر والغلبة، من ذلك ـــ غير ما سبق ـــ قول ابن هانئ الأندلسي :

حوادثُ غُلبٍ في لؤيِّ بن غالبٍ .·. وخَطْبٌ لعمرُ الله في أُدَدٍ إدُّ[4]

ومنه قول بشار :

قد جاءكَ الدهرُ بأمر إدِّ .·. بعقبةِ المشغبِ ثم المُجْدِى[5]

---

(١) الأبيات من " الرجز " لجارية من العرب، وتنظر في جمهرة اللغة ١ / ١٦، ١٧، والمحكم ٩/٣٦١، ٣٦٢ (د أ د)، واللسان (أ د د) .

(٢) المحكم ٩ / ٣٦١، ٣٦٢ .

(٣) إكمال الأعلام بتثليث الكلام١/٤٠،وينظر : المثلث / للبلطيوسى ١ / ٣١٦، والصحاح واللسان (أ د د)

(٤) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ١٠٧ .

(٥) البيت من " الرجز " وينظر في ديوانه : ٣٠٦ .

وقول ابن شهاب (وهو شاعر عثماني) :

خذوا الحذرَ إن الخطبَ إدٌّ وبادروا ∴ إلى التوْبِ قبل الأَوْبِ راجين غُفْرَانَـا[1]

وقول محمود سامي البارودي (وهو شاعر حديث) :

إذا القلبُ لم ينصرْك في كل موطنٍ ∴ فما السيفُ إلا آلـةٌ حملُهـا إدُّ[2]

أما (الأد) بفتح الهمزة، فقد ورد في معنى : الشدة والقوة في جميع السياقات، ولم يأت في أي منها بمعنى : الداهية، أو الأمر العظيم، من ذلك ــ غير ما سبق ــ قول الشاعر :

قد جُدْتَ بالطرفِ الجوادِ فثنِّـه ∴ لأخيكَ من أدَدِ أبيك بمنْـصُلِ[3]

وقول المعري :

الناسُ أجمعُ من دنيـاهمُ خُلِقُـوا ∴ فما انتقالُـك مـن أدٍّ إلى أَدَدِ[4]

أي : من شدة إلى شدة .

القَوامُ والقِوَامُ :

فرق ابن جني دلاليا بين (القَوام) والقِوام) بفتح القاف وكسرها، وذلك عند توجيهـه لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ [5] فقال : " ومن ذلك قراءة حسان بـن عبـد الـرحمن صاحب عائشة (رضي الله عنها) ــ وهو الذي يروى عنه قتادة ــ : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قِوَاماً ﴾

قال أبو الفتح : القَوَام بفتح القاف : الاعتدال في الأمر، ومنه قـولهم : جاريـة حـسنة القوام: إذا كانت معتدلة الطول والخلق . وأما (القِوام) بكسر القاف : فإنه ملاك الأمر وعصامه يقال: مِلاك أمرك وقوامه أن تتقي الله في سرك وعلانيتك، فكذلك قوله :﴿ وَكَانَ بَـيْنَ ذَلِـكَ

---

(١) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ٤٤٤ .

(٢) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ٢٢٤ .

(٣) البيت من " الكامل " للبحتري وهو في ديوانه : ١٧٤٦، وإعجاز القرآن للباقلاني ٢٣٥ .

(٤) البيت من "البسيط " وهو في لزومياته ١ / ٣٧٧، ومعنى (من أد إلى أدد : من شر إلى شر".

(٥) الفرقان : من الآية ٦٨ .

قِوَاماً﴾،أي: ملاكاً للأمر، ونظاماً، وعصاماً . [1]

مما سبق يتبين أن ابن جني يفرق ـــ في المعنى ـــ بين اللفظين ؛ لاختلاف حركتي (الفتحة والكسرة) في فاء الكلمة، فـ(القوام) بفتح القاف في الاعتدال أو التوسط في الأمر، وهو معنى مجازي [2] ؛ إذ المعنى الحقيقي هو الاعتدال في الطول والخلق، كما في قوله :"جارية حسنة القوام ؛ إذا كانت معتدلة الطول والخلق " .

أما (القِوام) بكسر القاف فهو يستخدم عقليا ـــ فيما يكون عليه اعتماد الأمر أو نظامه وعصامه، فالفرق الدلالي ـــ هنا ـــ جاء بسبب اختلاف مور فيمى الكسرة والفتحة . [3]

وباستقراء كتب اللغة نجد أن علماء العربية مجمعون على التفرقة بينهما ـــ إلا على لغة ضعيفة قال أبو عبيده : " هو قَوام أهل بيته : وهو الذي يقيم شأنهم، من قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ [4] وقال ابن دريد : " القوام بكسر القاف، من قولهم : هذا قوام الدين، وقوام الحق، أي : الذي يقوم به . والقَوام بفتح القاف : حسن الطول " . [5]

وجعل البطليوسى اللفظ من المثلث المختلف المعنى، فقال : " القوام بالفتح : الاستقامة، وقوام الرجل : قامته، قال الشاعر :

ورقراقةٍ تفتر عن ثغر لؤلؤ .·. وتصبي نجد واضح وقَوامِ [6]

والقَوام أيضا : العدل، قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ . [7]

---

(١) المحتسب ٢ / ١٢٥، ١ / ١٨٢ .

(٢) ينظر : أساس البلاغة (ق و م) .

(٣) ينظر : الدلالة اللغوية عند العرب ـــ الدكتور : عبد الكريم مجاهد : ١٩٠ .

(٤) النساء : من الآية ٥، وينظر نص أبي عبيد " في التهذيب ٩ / ٣٥٧، واللسان (ق و م) .

(٥) جمهرة اللغة ٣ / ١٦٩، وينظر : الصحاح، واللسان (ق و م) .

(٦) البيت من " الطويل " في المثلث للبطليوسي ٢ / ٣٨٨ .

(٧) الفرقان : من الآية ٦٧ .

والقوام بالكسر : ما يقيم الإنسان من الرزق، وقد يقال بالفتح ... ويقال : بالدابة قُوام بالضم : وهو داء في قوائمها، والقوام ــ أيضاً ــ : الخلفة تصيب الإنسان" [1] .

وقد وافق البطليوسى كلا من ابن مالك، وابن منظور والزبيدي.[2]

وعلى هذا فقول الزجاج ــ ومن وافقه كالبطليوسى ــ بأن القاف قد تفتح من لفظه (القوام) قول ضعيف ؛ ومرجع ضعفه، وعدم الاعتداد به لأسباب ثلاثة :

أولا : أن القائلين قد قللوا ورود (القَوام) بالفتح، في معنى ملاك الأمر، وقوامه، وعماده ؛ لأنهم عبروا عنه بصيغة التمريض والتقليل : " قد يفتح " .

ثانيا : إجماع العلماء ــ قديماً وحديثاً ــ على التفرقة بين اللفظين ؛ لاختلاف الحركتين : الفتحة والكسرة، وهذا الإجماع يعد حجة .

ثالثا : بالرجوع إلى مصادر الاستشهاد في لغة العرب ندرك الفرق بينهما بوضوح ؛ إذ استعمل كل لفظ منهما في سياق يخالف الآخر، وبمعنى مختلف، فلم يرد (القوام) بالفتح في معنى ملاك الأمر وعماده، ولكن ورد ــ في الشعر ــ بمعنى : الاعتدال، وحسن الطول أو القامة، وما يعاش به، من ذلك قول عنترة :

فما للبدر إن سفرت كمال ∴ وما للغصن إن خطرت قوام[3]

أي : اعتدال، وقول الحطيئة :

طافتْ أمامةُ بالركبانِ آونةً ∴ يا حُسْنَهُ من قَوام ما ومُنتقبا[4]

وقد علق البغدادي على هذا البيت قائلاً : " القَوام بالفتح، ووهم من ضبطه بالكسر"[5] .

---

(١) المثلث للبطليوسي ٢ / ٣٨٨، وينظر : إصلاح المنطق : ١٦٧، والتهذيب ٩/ ٣٦٢ .

(٢) ينظر ــ على الترتيب ــ إكمال الأعلام بمثلث الكلام ٥٣٧/٢، واللسان، والتاج (ق و م)

(٣) البيت من "الوافر " وينظر في ديوانه : ٢١٧ .

(٤) البيت من "البسيط " وينظر في ديوانه : ٥، والأغاني ٢ / ٢٠١ .

(٥) خزانة الأدب ٣ / ٢٧٢ .

وقال عروة بن أذينة :

لا خير في طمع يُدنى إلى طَبْع ∴ وغصة من قَوام العيش تكفيني[1]

ومنه أيضا ــ قول ابن هانئ الأندلسي :

إذا هز عطفيْها قَوام مهفهف ∴ تداعى كثيب خلفها فَتَرجرجا[2]

ومن (القِوام) بالكسر في معنى : مِلاك الأمر، وعماده قول الأحوص :

الدهرُ إن سَر يوما لا قِوام له ∴ أحداثُه تُصدِّع الرأسَ من العَلَمِ[3]

أي : لا نظام له، ولا عماد . ومنه قول أبي العلاء المعري :

أعانى شُروراً لا قِوام بمثلها ∴ وأدناسُ طبع لا يهذبه الصَّقَلُ[4]

ومن " النثر " قول أبي حاتم البستي : " إن شر المال ما لا يُخرج منه حقوقه، وإن شراً منه ما أخذ من غير حله، ومنع من حقه، وأنفق من غير حله، واستثمار المال قوام المعاش... " .[5]

المَرْقَاةُ والمِرْقَاةُ :

أورد ابن جني في باب (الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية) أن هناك فرقاً ــ في المعنى ــ بين (المَرقاة والمِرقاة) بفتح الميم وكسرها . فقال : " ومن ذلك قولهم للسلم : مِرقاة، والدرجة : مَرقاة، فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقى، وكسر الميم يدل على أنها مما ينقل ويحتمل عليه، وبه، كالمِطرقة، والمِئزر، والمِنجل .

---

(١) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ٣٨٦، برواية :

لا خير في طمع يدني لمنقصة ... وغير من كفاف العيش يكفيني

والمخصص٣ / ١٦٩، ٨ / ٢٨٨، والبيت لثابت بن فطنة في المحكم ١/ ٥٥٧ (ع ط ب).

(٢) البيت من " الطويل" وينظر في ديوانه : ٦٦.

(٣) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ٢٠٠ (والعلم : الجبل) .

(٤) البيت من " الطويل " وينظر في لزومياته : ٢٥٨ .

(٥) روضة العقلاء / لمحمد بن حبان البستي ١ / ٢٢٨ .

وفتحة ميم مَرقاة تدل على أنه مستقر في موضعه، كالمنارة والمثابة، ولو كانت المنارة مما يجوز كسر ميمها لوجب تصحيح عينها، وأن تقول فيها : منورة ؛ لأنها كانت تكون ـــ حينئذ ـــ منقوصة، من مثال (مِفعال) كمِروحة، ومِسورة (ومعول)[1]، فنفس (ر ق ى) يفيد معنى الارتقاء، وكسرة الميم وفتحها تدلان ـــ على ما قدمنا ـــ من معنى الثبات أو الانتقال " .[2]

فابن جني (رحمه الله) يرى أن اللفظ إذا اتحد تكوينه واختلف بناه تغيرت دلالته، وإن اتحد مجاله وحقله، فلفظ (مرقاة) تكون أصله من (الراء والقاف والياء) وأفاد حدثا واحداً، ومعنى واحداً وهو الرقي، وهو ما يسمى بـ (الدلالة اللفظية)، ولما صيغ منه المصدر الميم " صار (مرقاة) بفتح الميم تارة، وكسرها تارة أخرى، وبالوجهين ورد في لغة العرب، وهذا ما جعل ابن جني يتلمس الفرق بين الوجهين .

أدرك ابن جني ـــ بفكره الثاقب، وسعته اطلاعه، وإلمامه بخصائص الأصوات وسماتها، الفرق بين اللفظين المبني على اختلاف الحركة، أو بعبارة أخرى اختلاف الصيغة، وهو ما يسمى بالدلالة الصناعية كما ذكر .

وهكذا يصبح كل من الفتحة والكسرة (مورفيما) له تأثيره في توجيه معنى الصيغة، واستطاعت اللغة بهما أن توجد فرقا دلاليا بين صيغتي (مِفعل) و(مَفعل).[3]

فـ (المِرقاة) بكسر الميم : يدل على السُّلم، وهو من معنى الانتقال الذي ذكره ؛ لأن السلم مما ينقل، ويعتمد عليه وبه . أما (المرقاة) بفتح الميم فيدل على الدرجة، وهو من معنى الثبات والاستقرار في الموضع ؛ لأن الدرجة مما يبنى ويستقر في موضع محدد لا انفكاك عنه .

فـ(الدلالة اللفظية) وإن كانت أقوى من الدلالة الصناعية ـــ كما ذكر ابن جني ـــ فإنني أرى ـــ هنا ـــ أن الدلالة الصناعية في (المرقاة والمرقاة) بفتح الميم وكسرها ـــ قد سارت مع الدلالة اللفظية جنباً إلى جنب، إن لم تكن قد فاقتها، بما أضافته من بعد معنوي لا يمكن إدراكه من

---

(١) المسورة : هو متكأ من جلد . والمجول : ثوب للنساء والخلخال .

(٢) الخصائص ٣ / ١٠٢، ١٠٣ .

(٣) الدلالة اللغوية عند العرب ـــ الدكتور : عبد الكريم مجاهد : ١٩٠ .

منطوق اللفظ ؛ إذ لولاها ما ظهر هذا الفرق الدقيق بين المرقاة، والمرقاة ذلك الفرق الذي يخفى على كثير من المتخصصين في فقه اللغة، فضلاً عن عامتهم .

ويبدو أن هذا الفرق ــ في المعنى ــ بين اللفظين نتيجة اختلاف حركتي الفتحة والكسرة ــ أغلبي ؛ إذ هو ليس موضع إجماع بين العلماء، بل يكاد يكون ابن جني ــ فيما أعلم ــ هو أول من أدركه ونبه عليه، ومن جاء بعده تبع له، أو مخالف . فـ (الجوهري) ــ وهو معاصر لابن جني ــ قد فرق بين اللفظين ــ من حيث البنية ــ إذ يقول عن المرقاة : " من كسرها شبهها بالآلة التي يعمل بها، ومن فتح قال: هذا موضع يفعل فيه، فجعله بفتح الميم مخالفاً "[1] . فالمرقاة ــ بالكسر ــ عنده : اسم آله، والمرقاة بالفتح : اسم مكان .

وممن فرق بين اللفظين أو الصيغتين ــ في المعنى ــ الإمام شمس الدين السخاوي، إذ يقول ــ عن معرفة الثقات والضعفاء من رواة الحديث ــ : " اجعل أيها الطالب من عنايتك الاهتمام بعلم الجرح ــ أي : التجريح والتعديل في الرواة ــ فهو من أهم أنواع الحديث وأعلاها وأنفعها، فإنه " المرقاة " بكسر الميم ؛ تشبيها بالآلة التي يعمل بها، وبفتحها الدرجة ؛ للتفصيل بين الصحيح من الحديث والسقيم".[2]

ويؤيد التفرقة بين اللفظين ــ في المعنى ــ تبعاً لاختلاف حركتي الفتح والكسر ــ غير ما سبق ــ ما ورد في شعر الحسام بن ضرار بن سلومان الكلبي ــ حين تولى إمارة الأندلس سنة خمس وعشرين ومائة :

فلا تأمنوا إن دارتِ الحربُ دَورةً ∴ وزَلّتْ عن المَرقاة بالقدم النعلُ

فينتقض الحبل الذي فتلتمُ ∴ ألاَ ربما يُلوى فينتفضُ الحبلُ[3]

---

(١) الصحاح (ر ق ى) نقلاً عن إصلاح المنطق لابن السكيت : ١٢٠ .

(٢) فتح المغيث ٣ / ٣٤٦ .

(٣) البيتان من " الطويل " وينظران في الحلة السيراء لأبي عبد الله البقاعي ١ / ٦١، ٦٤، وديوان شعراء بني كلب بن وبره، صنفه الدكتور : محمد شفيق البيطار ١ / ٥٠٩ .

وهناك من العلماء من سوى بين اللفظين في المعنى، من هـؤلاء الفيـومي ؛ إذ يقـول: " والمَرقى والمرتقى : موضع الرقي، والمِرقاة مثله . ويجوز فتح عينها على أنه موضع الارتقاء، ويجـوز الكسر ؛ تشبيها باسم الآلـة، كالمطهرة، والمسقاة . وأنكر أبو عبيد الكسر،وقال : ليس في كلام العرب " [1] . ووافقه ابن منظور، حيث قال : "المِرقاة، والمَرقاة : الدرجة، واحدة في مراقي الدرج، ونظيره : مسقاة، ومسقاة، ومثناة ومثناة للحبل، ومبناة ومبناة للغيبة، أو النطع بالفتحوالكسر ".[2]

وقال الزبيدي : " المرقاة بالفتح : اسم مكان وتكسر ـ الميم ـ على أنـه اسـم آلـة، وكلاهما صحيح، وهما لغتان في المعتل أيضاً " .[3]

(١) المصباح المنير (ر ق ى) .

(٢) اللسان والقاموس (ر ق ى) .

(٣) تاج العروس (ر ق ى)،وينظر:نيل الأوطار من أحاديث عين الأخبار شرح منتقى الأخبار للشوكاني ١ / ٩٨

ثانيا : بين الفتح والضم

كما وقع الاختلاف في المعنى ؛ تبعاً لاختلاف حركتي الكسرة والفتحة وقع الاختلاف نفسه أيضاً تبعاً لاختلاف حركتي الفتحة والضمة، وقد أورد ابن جني (رحمه الله تعالى) أمثلة لذلك، وهاك بعضها فيما يأتي :

دَولة ودُولة :

قال ابن جني : " قرأ ﴿ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً ﴾ [1] بالتاء، مرفوعة الدال والهاء أبو جعفر .

قال أبو الفتح : منهم من لا يفصل بين الدولة والدولة ــ بفتح الدال وضمها ــ ومنهم من يفصل فيقول : الدولة (بالفتح) في المُلك، والدولة (بالضم) في الملك..." . [2]

بالنظر في نص ابن جني السابق نجده يكتفي بذكر آراء اللغويين في اللفظين إجمالاً دون ترجيح لأحد الرأيين، أو حتى القائلين بهما .

وباستقراء كتب اللغة، والتفسير نجد أن العلماء قد اختلفوا في ذلك على قولين :

أولا : يرى بعض علماء اللغة التفرقة بين اللفظين، تبعاً لاختلاف حركتي الفتح والضم، يقول أبو عمرو بن العلاء : " الدولة بالفتح : الظفر في الحرب وغيره، وهي المصدر . وبالضم : اسم الشيء الذي يتداول من الأموال " وتبعه على ذلك أبو عبيده، والجوهري والقرطبي . [3]

وقال الفراء في تفسيره لآية الحشر : " قرأها الناس برفع الدال، إلا السلمى ــ فيما أعلم ــ فإنه قرأ دَولة " بالفتح، وليس هذا للدولة بموضع، إنما الدولة في الجيشين يهزم هذا هذا ثم يهزم الهازم، فتقول : قد رجعت الدولة على هؤلاء كأنها المرة . والدُولة : في المِلك، والسنن التي تغير وتبدل عن الدهر، فتلك الدُّولة والدول " . [4]

---

(١) الحشر : من الآية ٧ . وفي المحرر الوجيز : " قرأ جمهور الناس (دولة) بضم الدال ونصب الهاء وقرأ أبو عبد الرحمن المسلمي : (دولة) بفتح الدال، ونصب الهاء . وقرأ أبو جعفر القعقاع وهشام عن ابن عامر ــ : دولة " بضم الدال والهاء " ٥ / ٢٨٦ .

(٢) المحتسب ٢ / ٣١٦ .

(٣) ينظر تهذيب اللغة ١٤ / ١٢٥، والصحاح (دول)، والجامع لأحكام القرآن ١٠ /٦٧٤٠.

(٤) معاني القرآن ٣ / ١٤٥، وتهذيب اللغة ١٤ / ١٢٤ .

والفرق بين قول الفراء، وبين قول من سبقه كأبي عمرو بن العلاء ـــ ومن تبعه ـــ أن تفرقة الفراء كانت باعتبار صفات المعنيين . أما أبو عمرو ـــ ومن تبعه ـــ فكانت (باعتبار ما يستعمل فيه اللفظان)، أي : من جهة الاستعمال، ولم يخرج كلام المفسرين عما ذكره أبو عمرو والفراء ومن تبعهما . (١)

ثانيا : يرى بعض العلماء عدم التفرقة بين اللفظين، وأنهما بمعنى، يقول عيسى بن عمر الثقفي : " تكونان جميعاً في المال والحرب سواء، ولست أدري فرق ما بينهما " (٢) . وقال يونس ابن حبيب ـــ بعد ذكره لقول عيسى بن عمر السابق ـــ : "أما أنا فوالله ما أدري ما بينهما " (٣) وذكر الأصمعي أنهما لغتان بمعنى واحد (٤)، والأمر نفسه يراه الليث حيث يقول : " الدَّولة والدُّولة لغتان " . (٥)

وإذا كان الأصمعي، والليث قد صرحا بأنهما لغتان بمعنى واحد، فإن القزاز يرى أن في الكلمة ثلاث لغات، قال : " العرب تقول : الأيام دِول، ودَول، ودُول، ثلاث لغات " . (٦)

والرأي الأول ـــ القائل بالتفرقة بين اللفظين ـــ أوْلى بالقبول، لما يأتي :

أولا : أنه الأصل في اللغة ؛ لأن مبنى اللغة على اختلاف المعنى لاختلاف الصوتين، وهما ـــ هنا ـــ الحركتان، وهو ما يسمى بالتقابلات الاستبدالية بين الألفاظ، فتغير المعنى تبعاً لتغير الحركة (٧) . وإذا كانت الحركة تغير بين المعنيين المتضادين كما ذكر ابن فارس حين قال : " وما

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥ / ٤٧٦، والبحر المحيط ٨ / ٢٤٥ .

(٢) أدب الكاتب لابن قتيبة : ٢٤٧، والبحر المحيط ٨ / ٢٤٥، والصحاح (د و ل) .

(٣) التهذيب ١٤ / ١٢٤، الصحاح، واللسان (د و ل)، وفتح القدير ٥ / ١٩٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٦٧٤٠، وفتح القدير ٥ / ١٩٨ .

(٥) تهذيب اللغة ١٤ / ١٢٤، واللسان (د و ل) .

(٦) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للعيني ١٤ / ١٠١ .

(٧) الدلالة الصوتية عند ابن جني : ٨٨٤ نقلا عن " الصوائت والمعنى في العربية " دراسة دلالية الدكتور : محمد داود : ٢٥ .

كان فرقه بحركة، فقولهم : لُعنة : إذا أكثر اللعن، ولَعنة : إذا كان يلعن، وهزأة وهزأة، وسخرة وسخرة " [1] فإن تفرقها بين المعنيين غير المتضادين من باب أولى .

ثانيا : بالرجوع إلى مصادر الاستشهاد في لغة العرب، وعرض اللفظين في سياقات مختلفة يتأكد التفرقة بينهما، فمن (الدولة) بالضم قول عنترة :

عُبيلةُ أيامُ الجَمال قليلةٌ ∴ لها دُولة معلومة ثم تَذْهَبُ [2]

أي : لها تبدل وتغير وانتقال من حال إلى حال حتى تذهب كلية .

وقول ديك الجن :

هي الليالي ولها دُولة ∴ ووحشة بعد إيناسِ [3]

ومن النثر، ما ورد في الحديث النبوي الشريف : " إن للمساكين دُولة إذا كان يوم القيامة قيل لهم : انظروا من أطعمكم ـ في الله ـ لقمة، أو كساكم ثوباً، أو سقاكم شربة فأدخلوه الجنة " [4] . وفي حديث أشراط الساعة : " إذا كان المغنم دُوَلا" جمع دولة بالضم، وهو ما يتداول عن المال، فيكون لقوم دون قوم [5] . ومنه قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ـ في وصيته للخليفة من بعده : " ... ولا تجعل المال دُولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم .." [6]

أما (الدَّولة) بفتح الدال فقد وردت بمعنى (الحرب)، من قولهم : " دالت الحرب عليهم " و " دال عليهم الدهر دولة " [7] وعليه قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب :

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية : ٣٧٦ وينظر الكتاب ٤ / ٤٣، والمزهر ١/٣٣٦ .

(٢) البيت من "الطويل " وينظر في ديوانه : ١٠٤، .

(٣) البيت من "المتقارب " وينظر في ديوانه : ١٠٥ .

(٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / لعلاء الدين بن حسام الهندي ٦ / ١٦٤ .

(٥) النهاية ٢ / ١٤٠ .

(٦) جمهرة خطب العرب ١ / ٢٦٥ .

(٧) أدب الكاتب لابن قتيبة : ٢٤٧ .

تأملْ ترى الشطرنج كالدهر دَولة .·. نهاراً وليلاً ثم بُؤساً وأنعُما[1]

ومن النثر قول النبي (ﷺ) : " إذا ظلم أهل الذمة كانت الدُّولة دَولة العدو..."[2] ومنه قول الحسن بن علي (رضي الله عنهم) ـ وقد صعد المنبر يوم جمعة : " إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفسا ورهطاً، وبيتاً، فوالذي بعث محمداً بالحق لا ينتقص من حقنا ـ أهل البيت ـ أحد إلا نقصه الله من عمله مثله، ولا يكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين" .[3]

كما جاءت بمعنى (المُلك) بضم اللام، وعليه قول مهيار الديلمي :

فأقسم لو دَولة الدهر لي .·. لما مال عنك بها مائلُ[4]

كما وردت أيضا ـ بمعنى الموضع، ومن ذلك قول ابن زيدون :

وعُمِّرتْ ما شئتَ في دَولة .·. تَقَصَّرَ عنها طوال الدول[5]

---

(١) البيت من "الطويل" وينظر في خزانة الأدب وغاية الأرب / لابن حجة الحموي ١٩٣/١ .

(٢) مجمع الزوائد / لعلي بن بكر الهيثمي ٦ / ٢٥٥، وكنز العمال ٣ / ٢٠٠ .

(٣) جمهرة خطب العرب ١ / ٤٣٠ .

(٤) البيت من "المتقارب" وينظر : في ديوانه ١٨٣٧ .

(٥) البيت من " المتقارب " وينظر : في ديوانه ١٢٠ .

بين الكسر والضم

بَعِدَتْ وبَعُدَتْ :

فرق ابن جني (رحمه الله) دلاليا بين اللفظتين، وذلك عند توجيه لقراءة أبي عبد الرحمن السليمي : ﴿ بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [1] بضم العين، فقال : " أما (بَعُدَ) فيكون مع الخير والشر، تقول : بعد عن الشر، وبعد عن الخير، ومصدرها (البُعد) بمعنى اللعنة . أما (بعِد) ففي الشر خاصة يقال : بعِد يبعَد بعداً، ومنه قولهم : أبعده الله، فهو منقول من (بعد) ؛ لأنه دعاء عليه، فهو من (بعِد) الموضوعة للشر ... " . [2]

من النص السابق يتضح تفرقة ابن جني بين اللفظين، وذلك لاختلاف حركتي الضم والكسر، وتفرقته جاءت عن طريق (العموم والخصوص)، فـ (بعُد) بضم العين عام في الخير والشر، على حين أن (بعِد) بكسر العين لا يكون إلا في الشر خاصة، وعلى هذا فقد يلتقيان في معنى الشر خاصة، أما في الخير فلا يقال إلا (بعد) بضم العين .

وباستقراء كتب اللغة، والتفسير، والقراءات نجد خلافاً بين العلماء، يمكن إجماله في أمرين:

الأول : أكثر العلماء فرق بينهما ـ كما فعل ابن جني ـ فقد سبقه إلى ذلك يونس بن حبيب ؛ إذ قال : " العرب تقول : بعِد الرحيل، وبعُد، إذا تباعد في غير سب . ويقال في السب : بعِد، وسحِق لا غير [3] " كما سبقه أيضا ابن قتيبة [4]، وتلاه أصحاب المعجمات العربية . [5]

وقد اتفق معه ـ أيضا ـ المفسرون، قال المهدوى : " إن (بعد) بالضم لغة تستعمل في الخير والشر، و(بعد) بالكسر، في الشر خاصة، وكيفما كان الأمر، فالمراد بـ(بعدت) على تلك

---

(١) هود : من الآية ٩٥، وقراءة الجمهور (بعِدت) بكسر العين .

(٢) المحتسب ١ / ٣٢٧، وهي قراءة أبي صبوه أيضاً .

(٣) تهذيب اللغة ٢ / ٢٤٥، واللسان (ب ع د) .

(٤) أدب الكاتب : ٢٦٢ .

(٥) الصحاح، واللسان، والقاموس، والتاج (ب ع د) .

القراءة ــ أيضاً ــ هلكت، غاية الأمر أنه في ذلك : إما حقيقة أو مجاز، ومن هلك فقد (بعد ونأى)، كما قال الشاعر :

ومن كان بينَك في التراب وبينَه .·. شهرانِ فهْو في غايةِ البَعَدِ[1][2]

وقال أبو حيان : " وقرأ السلمي وأبو حيوة (كَمَا بَعُدَتْ) بضم العين : من البعد الذي هو ضد القرب . وقرأ الجمهور بكسرها، أرادت العرب التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره، فغيروا البناء . وقراءة السلمي جاءت على الأصل ؛ اعتباراً لمعنى البعد من غير تخصيص، كما يقال: ذهب فلان ومضى:في معنى القرب"[3]

ثانيا : من علماء العربية من يرى أن اللفظتين من قبيل اختلاف اللهجات العربية في طريقة النطق، قال ابن الأنباري : " من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب، فيقولون فيهما : بعُد يبعد، وبعِد يبعد " [4] وقال الألوسي : "وبعد يبعد، كعلم يعلم لغة في (بعُد) [5] " . أما أبو حاتم فقد حكى أن قراءة (بعدت) بكسر العين لغة بني تميم " [6] وقد أيد بعض المفسرين عدم التفرقة بين اللفظين في المعنى كالنسفي . [7]

وأرى أن القول بالتفرقة بين اللفظتين ؛ لاختلاف الحركتين أولى بالقبول لما يأتي :

---

(١) البيت من "الكامل"وينظر في الدر المصون للسمين الحلبي ٦/ ٣٨١، وروح المعاني١٢/١٢٩ .

(٢) ينظر كلامه في تفسير القرطبي ٤ / ٣٤١٢، والبحر المحيط ٥ / ٢٥٧، ٢٥٨، وفتح القدير ٢ / ٥٢١، وروح المعاني ١٢ / ١٢٩ .

(٣) البحر المحيط ٥ / ٢٥٧، ٢٥٨، وينظر : تفسير أبي السعود ٤ / ٢٣٨، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٥٦ .

(٤) تفسير الثعلبي ٢ / ٢١٧، والبحر المحيط ٥ / ٢٥٨، وروح المعاني ١٢ / ١٢٩ .

(٥) روح المعاني ١٠ / ١٠٧ .

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية ٣ / ٣٨ .

(٧) تفسير النسفي ٢ / ١٧٠ .

أولا : أنه كثيراً ما تختلف المصادر عن الصدر الواحد، ويكون ذلك دليلاً على اختلاف المعنى بينهما، وقد ذكر ابن قتيبة لذلك كثيراً من الأمثلة، كقوله : "يقال : وجدت في الغضب مَوجدة، ووجدت في الحزن وَجْداً ... وبعُد فلان يبعُد بعداً، وبعد ــ بكسر العين ــ يبعد بعداً إذا هلك، من قول الله (عز وجل) : ﴿ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ وبعدا أيضا " ثم قال : " وكذلك أكثر هذه الحروف إذا أنت رجعت إلى أصولها وجدتها من موضع واحد، وفرق بين مصادرها وبين بعض أفاعيلها؛ ليكون لكل معنى " لفظ غير لفظ الآخر " [1] . وإن اجتمع معنى اللفظين في معنى الشر فهو مما جاء مصدره على غير لفظه ؛ لتقارب المعنى . قال القرطبي : " وقد يجتمع معنى اللغتين؛ لتقاربهما في المعنى، فيكون مما جاء مصدره على غير لفظه، لتقارب المعاني" . [2]

ثانيا : أورد الزبيدي : أن الأكثر على التفرقة بينهما . ومن جوز الاشتراك فيهما أشار إلى أفصحية الضم في خلاف القرب، وأفصحية الكسر في معنى الهلاك والمجمع عليه عند أئمة اللغة التفرقة بينهما، وهو الذي عليه صاحب القاموس، والذي رجحه غيره هو قول بعضهم . [3]

ثالثا : بالرجوع إلى مصادر الاستشهاد في لغة العرب يتضح لنا أن أكثر استعمال (بعد) ــ بضم العين ــ في ضد القرب، من ذلك : " أن يزيد بن ثابت كان جالساً مع النبي (ﷺ) في أصحابه، فطلعت جنازة، فلما رآها رسول الله (ﷺ) ثار، وثار أصحابه، فلم يزالوا قياماً حتى بعُدت، والله ما أدرى من تآذيها أو من تضايق المكان، وما أحسبها إلاّ جنازة يهودى أو يهودية، وما سألناه عن قيامه " . [4]

وجاء في كنز العمال : " إن المؤمنين قوم نُصَحة بعضهم لبعض، وإن بعُدت ديارهم وأبدانهم، وإن المنافقين قوم غُشَشة بعضهم لبعض " . [5] ومن الشعر قول خرنق بنت هفان :

---

(١) أدب الكاتب : ٢٥٧ ــ ٢٦٢ .

(٢) القرطبي ٤ / ٣٤١٢ .

(٣) ينظر : تاج العروس / للزبيدي (ب ع د) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٣ / ٣٩ (حديث رقم : ١١٩٠٨) .

(٥) كنز العمال في سنن القول والأفعال ٥ / ٢٦٢ (حديث رقم : ١٤١٥٦) .

لا يبعُدن قومي الذين هُمُ ∴ سُمُّ العُداة وآفةُ الجزرُ[1]

وقول مالك بن الريب :

يقولون لا تبعد وهم يدفنوني ∴ وأين مكان البعد إلا مكانيا ؟[2]

وهو من البعد خلاف القرب [3] . ومنه قول البحتري أيضا :

إذا بعُدتْ أبْلتْ وإن عَرِيْت شَفَتْ ∴ فَهجرانُها يبلُى ولقيانها يَشْفِي[4]

ومن استعمال (بعِد) بكسر العين في معنى (الهلاك) ما ورد في سنن أبي داود، وفيه : " أخبرني ابن أبي مليكة، عن جده، أن أبا بكر (رضي الله عنه) قال : بعدت سنه " [5] أي : هلكت.

ومن الشعر قول أبي الأسود الدؤلي :

أقولُ وزادني جزعًا وغيظًا ∴ أزال الله مُلْكَ بني زِيَادِ

وأبعدهم كما غَدرُوا وخانُوا ∴ كما بعِدت ثمودُ وقومُ عَادِ[6]

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

إذا نُعْمُ نأت بعدت وتعدو ∴ عواد أن تزار مع الرقيبِ[7]

ويندر أن تستعمل (بعِد) بكسر العين في غير الهلاك ومن ذلك قول الشريف الرضي :

ما ضرني أن لو بعِدتُ عن الغنى ∴ أبداً وأني من لقائك دان[8]

---

(١) البيت من " الكامل " وينظر في ديوانها : ٣٩، وتفسير الثعالبي ٢ / ٢١٦ .

(٢) البيت من"الطويل"وينظر في المخصص / لابن سيده ٢ / ٥٣، وتفسير الثعلبي ٢ / ٢١٦ .

(٣) اللسان (ب ع د) .

(٤) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه ٣ / ١٣٦٥، ودلائل الإعجاز / لعبد القاهر الجرجاني ١٣٢/١ .

(٥) سنن أبي داود ٤ / ١٩٤ (حديث رقم ٤٥٨٤) .

(٦) البيتان من "الوافر" وينظر في المعجم الكبير للطبراني١١٨/٣،ومجمع الزوائد للهيثمي٢٠٠/٩ .

(٧) البيت من " الوافر " وينظر في ديوان : ١١ .

(٨) البيت من " الكامل " وينظر في ديوانه : ٥١٨ .

فـ(بعد) ـ هنا ـ جاءت بمعنى (بُعد) بضم العين، وكذلك قول سبط التعاويذى :

فنلت من وصلها ما كنت آملُه .. بعدتَ من زمن لذاتُه حُلُمُ[1]

لذا كان قول أبي حيان، وأبي السعود، والألوسي بأن الضم هو الأصل، والكسر لتخصيص معنى البعد هو الأدق ؛ إذ الهلاك نوع من البعد، وليس على أن ياسهما واحد كما ذكر ابن فارس .[2]

الذُّلُ والذِّلُ :

من الألفاظ التي فرق بينها ابن جني (رحمه الله) دلاليا (الذُّل) و(الذِّل) بضم الذال، وكسرها، وذلك عند توجيهه لقراءة ابن عباس، وعروة بن الزبير : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[3] قال : " الذِّل في الدابة : ضد الصعوبة والذُّل للإنسان : وهو ضد العز . وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان، والكسرة للدابة ؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة . واختاروا الضمة؛ لقوتها للإنسان، والكسرة ؛ لضعفها للدابة ... " .[4]

من النص السابق يتبين أن ابن جني قد فرق بين (الذُل) و(الذِل) بضم الذال وكسرها من جهتين :

الأولى : فرق بينهما من حيث أثر الحركة في المعنى، فلما اختلفت الحركة اختلف المعنى ؛ تبعاً لاختلافها، وهو الأصل في اللغة كما سبق بيانه، فـ" الضمة للإنسان، والكسرة للدابة ؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة " .

الثانية : فرق بينهما من حيث إبراز المناسبة بين الحركة والمعنى، فالمعنى القوي يناسبه الحركة القوية والعكس صحيح:"فاختاروا الضمة ؛ لقوتها للإنسان، والكسرة ؛ لضعفها للدابة " .

---

(١) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ٣٩٢ .

(٢) مقاييس اللغة ١ / ٢٦٨ (ب ع د) حيث قال ابن فارس : " وقياس ذلك واحد " .

(٣) سورة الإسراء :٢٣،وهي قراءة ابن جبير، ويحيى بن وثاب، والجحدري والحسن وقتادة أما قراءة (الضم) فللجمهور . ينظر : معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٤١، وزاد المسير ٥/٢٥ .

(٤) المحتسب ٢ / ١٨ .

وبهذه التفرقة نفسها ــ أخذ أبو البقاء الكفوى فقال : " الذل بالكسر : في الدابة ضد الصعوبة، وبالضم في الإنسان ضد العز ؛ لأن ما يلحق الإنسان أكثر قدراً مما يلحق الدابة، فاختاروا الضمة ؛ لقوتها للإنسان، والكسرة ؛ لضعفها للدابة . وقيل: بالضم : ما كان عن قهر، وبالكسر ما كان عن تعصب " .(١)

وباستقراء كتب اللغة والتفسير نجد أن للعلماء رأيين في ذلك :

أولا : يرى جمهور العلماء التفرقة بينهما على النحو الذي ذكره ابن جني، سواء من سبقه، كالفراء وأبي جعفر النحاس، والأزهري(٢)، أو عاصره كابن فارس وإن جعلهما من أصل واحد، وهو الخضوع والاستكانة (٣). أو من لحقه، كالعكبري وابن مالك (٤) . ومن هنا صح قول ابن الأنباري : " ... والذي عليه كبراء أهل اللغة أن الذل (بالضم) : من الرجل الذليل، و(الذل) بالكسر من الدابة الذلول " (٥) وبه أخذ المفسرون كابن عطية، والقرطبي، والرازي وأبي حيان، والسمين الحلبي، والألوسي .(٦)

ثانيا : يرى بعض العلماء أن (الذل) بكسر الذال، وضمها لغتان بمعنى واحد، أي : أنهما مترادفتان، يقول ابن الأنباري : " من قرأ (الذِل) بكسر الذال : جعله بمعنى الذُل بضم الذال . والذي عليه كبراء أهل اللغة أن الذُل : من الرجل الذليل، و(الذِل) من الدابة الذلول " (٧) وذكر ابن سيده أنهما بمعنى الرفق والرحمة ضد الصعوبة في الإنسان والدابة، واستدل بما أنشده ثعلب :

وما يك من عُسرى ويُسرى فإنني ∴ ذَلول بحاج المُعتفين أرِيبُ(٨)

---

(١) الكليات ١ / ٤٦٢ .

(٢) ينظر ــ على الترتيب ــ معاني القرآن ٢ / ١٢٢، ومعاني القرآن ٤ / ١٤٢ .

(٣) مقاييس اللغة ٢ / ٣٤٥ (ذ ل) .

(٤) إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٩٠، وإكمال الأعلام بمثلث الكلام ١ / ٢٣١ .

(٥) زاد المسير ٥ / ٢٥ .

(٦) المحرر الوجيز ٣ / ٤٤٩، والجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٩٧٢، ١٠ / ٦٣، ٦٤، والبحر المحيط ٦ / ٢٨، والدر المصون ٧ / ٣٤٣، ٣٤٤، وروح المعاني ١٥ / ٥٦ .

(٧) الكشف لمكي بن أبي طالب ٢ / ٤٤٥، وزاد المسير ٥ / ٢٥ .

(٨) البيت من " الطويل " في المحكم ١٠ /٤٩، واللسان (ذ ل ل) .

قال : " علق (ذلولا) بالباء ؛ لأنه في معنى رفيق، ورؤوف" [1] . وقد استخدمها في الإنسان، لا في الدابة كما ذكر جمهور العلماء كما سبق ذكره .

والقول بالتفرقة ـــ الذي عليه كبراء أهل اللغة كما قال ابن الأنباري ـــ أولى بالقبول، يؤيد ذلك ما ورد في مصادر الاستشهاد العربي بأن لكل منهما سياقاً ترد فيه يخالف الآخر، فقد استعمل لفظ (الذل) من سياقات متعددة، وجاءت كلها مسندة إلى الإنسان، من ذلك ما ورد في الحديث : " طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذُّل والمسكنة ... " الحديث . [2]

وفي الحديث ـــ أيضا ـــ قال (ﷺ) : " يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة في صور الرجال، يغشاهم الذُّلُ من كل مكان ... " الحديث . [3] وفي حديث ابن الزبير : " بعض الذل أبقى للأهل والحال " معناه : أن الرجل إذا أصابته خطة ضيم يناله فيها ذل، فصبر عليها كان أبقى له، ولأهله وما له . [4] ومن الشعر قول عنترة:

من لم يعش متعززاً بسنانه .·. سيموت موت الذُل بين المعشرِ [5]

وقول أبي طالب :

وما كنتُ أخشى أن يرى الذل فيكمو .·. بني عبد شمس حيرتي والأقاربِ [6]

---

(١) المحكم ١٠ / ٣٤٩، وينظر : تهذيب اللغة ٤ / ٤٠٦، ٤٠٧، واللسان (ذ ل ل) .

(٢) كنز العمال ١٥ / ٣٨٦ (حديث رقم ٤٣٥٨٢) .

(٣) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ٣ / ١٤١٤ (كتاب المساقات رقم ٥١١٢) .

(٤) النهاية ٢ / ١٦٦، ١٦٧، واللسان (ذ ل ل) .

(٥) البيت من " الكامل " وينظر في ديوانه : ٢٥١ .

(٦) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ٤٨ .

ومنه قول ابن الرومي :

لكـم حجـاب ولنـا أنفـس ∴ تمنعنـا الـذل عزيـزات[1]

أما (الذل) بالكسر فقد قل استعماله، ومع ذلك جاء في غير الإنسان : من ذلك ما جاء عن ابن الرومي في هجائه لرجل يسمى عمراً، وقد قارن بينه وبين الكلب، فكان الكلب أفضل منه:

وفيـه أشـياء صـالحاتٌ ∴ حماكهَـا الله والرسـولُ

فيـه هَرِيـر وفيـه نَـبْحٌ ∴ وحظـه الـذل والخمـول

والكلب وافٍ وفيكَ غـدرجج ∴ ففيكَ عن قَدْرِهِ سُـفُولُ[2]

الكِبْرُ والكُبْرُ :

من الألفاظ التي فرق بينها ابن جني (رحمه الله) تبعاً لاختلاف حركتي الضمة والكسرة لفظتا (كُبْرَهُ) و(كِبْرَهُ) بضم الكاف وكسرها، وذلك عند توجيهه لقراءة أبي رجاء، وحميد، ويعقوب، وسفيان الثوري، وعمرة بنت عبد الرحمن وابن قطيب : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كُبْرَهُ ﴾[3] بضم الكاف .

" قال أبو الفتح : من قرأ كذلك (أي : بالضم) أراد : عظمه . ومن كسر فقال : (كبره) : أراد : وزره وإثمه، قال قيس بن الخطيم :

تنام عـن كُبْـرِ شـأنِها فـإذا ∴ قامتْ رويـداً تكـادُ تنغـرِفُ[4]

أي : عن معظم شأنها " .[5] فابن جني قد فرق بين اللفظين في المعنى، وجعل المضموم في

---

(١) البيت من " السريع " وينظر في ديوانه ٢ / ٣٨٦ .

(٢) الأبيات من "البسيط " وتنظر في ديوانه ٢٥٩٠، ٢٥٩١ .

(٣) سورة النور : من الآية ١١، وقراءة الجمهور بكسر الكاف .

(٤) البيت من " المنسرح "، وينظر في ديوانه : ١٠٦، وإصلاح المنطق : ٣٣، وتفرق : تتثنى .

(٥) المحتسب ٢ / ١٠٣، ١٠٤ .

معظم الشيء، والمكسور في معنى الزور والإثم .

وبالرجوع إلى كتب اللغة والتفسير نجد خلافاً بين العلماء يتمثل في الآتي :

أولا : أكثر العلماء على التفرقة بين اللفظين ؛ لاختلاف الحركتين، يقول الخليل بن أحمد: " الكِبر (بالكسر) : الإثم الكبير، من الكبيرة، كالخطأ من الخطيئة والكبر : أكبر ولد الرجل . وكُبر كل شيء (بالضم) : عظمه، وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كُبْرَهُ﴾ بالضم يعني : عظم هذا القذف . ومن قرأ : " كِبْرَهُ " يعني : إثمه وخطأه، قال علقمة :

بدتْ سوابقُ من أولاه نعرفُها .. وكِبره في سوادِ الليلِ مَستورُ[1]

والكِبر : رفعه في الشرف، قال المرار بن منقذ :

ولى الأعظمُ من سُلاَّفِها .. ولى الهَامةُ فيها والكِبَرُ[2]

فالكبر (بالضم) بمعنى : معظمه، و(الكبر) بالكسر، في معنى الإثم والخطأ، وأيضا في الرفعة والشرف، وعليه ابن السكيت، والصغاني، وقد استدل بالآية الكريمة .[3]

وذكر أبو جعفر النحاس أن (الكبر) بالضم : يكون في النسب، قال: "يريد: أنه يقال : الكبر من ولد فلان لفلان " وهو قول لأبي عمرو بن العلاء .[4] أما ابن فارس فقد ذكر أن (الكبر) بالكسر : معظم الأمر، ومنه المثل : كِبر سياسة القوم في المال . أما (الكبر) بالضم فهو القعدد،يقال:الولاء للكبر:يراد به:أقعد القوم في النسب، وهو الأقرب إلى الأب الأكبر .[5]

ثانيا : يرى الكسائي، والسجستاني أنهما لغتان بمعنى واحد، قال السجستاني: كِبره، وكُبره

---

(١) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ٤١ .

(٢) البيت من " الخفيف " وينظر في العين ٥ / ٣٦١، والمخصص ١٢/٢٠٠ واللسان (بضم الكاف) (ك ب ر)

(٣) إصلاح المنطق ٣٣، وتاج العروس (ك ب ر) .

(٤) معاني القرآن ٤ / ٥٠٩ .

(٥) المقاييس ٥ / ١٥٣، ١٥٤ (ك ب ر) .

لغتان، أي : معظمه، يقال : كبر : مصدر الكبير من الأشياء والأمور، وكـبر : مـصدر الكـبير السن"[1] . كذا ظن أبو زيد، وابن اليزيدي أن الضم لغة، ولم يقطعا بذلك .[2]

وعلى هذا فأكثر علماء اللغة على الفرق بين اللفظين لاختلاف الحركتين، وإن اختلفـت وجهت نظرهم، وهو الأرجح عندي ـــ إذ هما يفترقان (من جهة العموم والخصوص) ؛ لأنهمـا يشتركان في الدلالة على معنى (معظم الأمر)، ويفترقان في أن (الكبر) بالضم يـستعمل في كـبر السن أو المكان، ومنه قوله (ﷺ) في قصة حويصة ومحيصة ـــ : " الكُبر الكُبر " .[3]

أما (الكِبر) بالكسر فيأتي في معنى الرفعة والشرف، كقول المرار بن منقذ السابق، وقول أبي العلاء المعري :

أشرفُ الناس في أعلـى مراتبـه ∴ مثلُ الصديدِ ولكن قيل صِـنديدُ

ما كِبره وثقيـلُ اللحـن يمنعُـه ∴ من سرعةِ الفهمِ تَرْسِيلٌ وتَمديدُ[4]

كما يأتي في معنى الإثم والخطأ كما سبق، وفي معنى الطويل ذو الوجه الواحد في لغة أهل الكوفة .[5] ولعل اشتراكهما في الدلالة على معنى : (معظم الأمر) هو الذي جعـل الكـسائي، والسجستاني يقولان : هما لغتان بمعنى واحد .

مما سبق يتضح أن جمهور العلماء على التفرقة بينهما، وأن القراءتين صحيحتان خلافاً لمن أنكر قراءة الضم ؛ بحجة أن (الكبر) بالضم يأتي في معنى الولاء والنسب، واستدل بحـديث : "

---

(١) غريب القرآن : ١٦٩، وينظر نص الكسائي في زاد المسير ٦ / ١٨، ١٩ .

(٢) تهذيب اللغة ١٠ / ١١٩، واللسان (ك ب ر) .

(٣) مسلم ـــ قسامة ـــ ٣ / ١٢٩١، ١٢٩٢ (حديث رقم : ١٦٦٩، ١٦٧٠)، والمحـرر الوجيز٤ /١٧٠ وحويصة بن مسعود بن كعب أخو محيصة بن مسعود الحارثي الأنصاري أسلم قبل حويصة وكان حويصة أسن منه، وكتاب الثقات لابن حبان البستي٣/٩١.ينظر : الجرح والتعديل لأبي محمد الرازي التميمي٨/ ٤٦.

(٤) البيتان من "البسيط " في لزومياته ١ / ٣٣١ .

(٥) العين / للخليل بن أحمد ٥ / ٣٦١ (ك ب ر) .

الولاء للكبر " [1] : وهو أكبر ولد الرجل من الذكورة وأقربهم إليه نسباً، وإن سياق الآية الكريمة ـــ هنا ـــ لا يحتمل هذا المعنى ؛ لأنها وردت لتكشف عن حديث الإفك، وما أشيع فيه عن طريق عبد الله بن أبي سلول، وتبرئة أم المؤمنين : عائشة رضي الله عنها، وقد نسب هذا القول إلى أبي عمرو، وأبي عبيد . [2]

وأرى أن ما أورده المفسرون من أن معنى (كُبره) بالضم هنا ـــ يعني : عظمه ومعظمه تفسير صحيح، ويتفق مع سياق الآية من جهة، وأن قراءة الضم قد عزيت إلى ستة عشر قارئاً من جهة أخرى، وهم : مجاهد، ويعقوب، وسورة عن الكسائي، ومحبوب عن أبي عمرو، والحسن ... وحميد، وابن أبي عبلة، وسفيان الثوري، ويزيد بن قطيب، والزعفراني، وابن مقسم . [3]

وكيف ينكرها أبو عمرو، ويقرأ بها، إضافة إلى الكسائي وهو من السبعة ويعقوب، وهو من العشرة ؟! . لذا فقد وفق الفراء حين قال : " اجتمع القراء على كسر الكاف . وقرأ حميد الأعرج (كُبره) بالضم . وهو وجه جيد في النحو ؛ لأن العرب تقول : فلان تولى عظم كذا وكذا، يريدون : أكثره " . [4]

---

(١) سنن الدارمي ـــ كتاب الفرائض ـــ باب الولاء للكبر ـــ ٢/ ٣٧٥، ٣٧٦ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤ / ٥٠٩، وتفسير الثعلبي ٧ / ٧٨٠.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٦ / ٤٣٧ .

(٤) معاني القرآن ٢ / ٢٤٧، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ٤٧٣٥، واللسان (ك ب ر) .

المبحث الثالث

" الفروق الدلالية لاختلاف الاشتقاق "

الاشتقاق عند علماء الغرب : هو أحد فروع علم اللغة التي تدرس المفردات، وينحصر في : " أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة، وتزويد كل منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها : من أين جاءت ؟ ومتى ؟ وكيف صيغت ؟ والتقلبات التي مرت بها، فهو ـ إذاً ـ علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة، مع التغيرات التي أصابتها من جهة المعنى، أو من جهة الاستعمال " . (١)

أما الاشتقاق عند العرب فهو علم تطبيقي ؛ لأنه عبارة : " توليد الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد " . (٢)

والاشتقاق ـ بهذه الصورة ـ هو أحد الوسائل الرائعة التي تنمو عن طريقها اللغات وتتسع، ويزداد ثراؤها في المفردات، فتتمكن به من التعبير عن الجديد من الأفكار، والمستحدث من وسائل الحياة " . (٣)

ولا تتوقف أهمية الاشتقاق عند هذا الحد، وإنما يؤدي للعربية خدمات جليلة من حيث معرفة أصل اللغة، أو المعنى، ومعرفة تاريخ كثير من كلمات اللغة، والترجيح بين الاراء حين يختلف المفسرون أو اللغويون في بيان أصل كلمة ما، أو تحديد معنى معين، كما أنه يعتمد عليه في تثبيت اللغة على القياس كما ذكر ذلك ابن جني . (٤)

---

(١) اللغة / لفندريس : ٢٢٦ .

(٢) دراسات في فقه اللغة : الدكتور : صبحي صالح : ١٧٤ .

(٣) فصول في فقه العربية : ٢٩٠ .

(٤) الخصائص ١ / ٣٧٠ .

وفي الفروق الدلالية بين الألفاظ ـــ التي قال عنها بعض العلماء : إنها مترادفة ـــ يبدو الاشتقاق عاملا مهما في بيان هذه الفروق والإيضاح عن مكنونها ؛ إذ هو كما قال الإمام الرازي : " أكمل الطرق في تعريف مدلولاتها الألفاظ " .(١)

وهو المبين لما بين اللفظين المتشابهين في اللفظ من فروق في اللفظ والمعنى، يقول السيوطي " الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح ؟ " .(٢)

كما تبدو أهمية الاشتقاق في هذا الجانب من حيث كونه يعمل على توفية المعنى، والحراسة له، والدلالة عليه كما ذكر ذلك ابن جني .(٣)

وعلى هذا فللاشتقاق دور بارز في الكشف عن دلالات الألفاظ لاسيما وهو في المرتبة من علوم العربية الأصول التي يعتمد عليها في الاحتراز عن الخلل في كلام العرب.(٤)

وفي الصفحات التالية سأقوم ـــ بمشيئة الله تعالى ـــ بإيراد بعض النماذج من كتب ابن جني يتضح فيها أثر الاشتقاق في إبراز المعنى وتحديده .

حَلِيَ وحَلاَ :

من الألفاظ التي فرق بينها ابن جني (رحمه الله) دلاليا لاختلاف الاشتقاق لفظتا (حلِي وحَلا) فقال : " حلا الشيء في فمي يحلُو، وحلِي بعيني، فاختاروا البناء للفعل على (فَعَلَ) فيما كان لحاسة الذوق ؛ لتظهر الواو . وعلى (فَعِلَ) في حلِي يحلَى ؛ لتظهر الياء والألف، وهما خفيفتان ضعيفتان إلى الواو ؛ لأن ـــ لو كان حس لكان أشبه ـــ حصة الناظر أضعف من حس الذوق بالفم " .(٥)

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨ / ١٦١ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٧٧ .

(٣) الخصائص ١ / ٢٢٩ .

(٤) دستور العلماء / للقاضي : عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري ٢ / ٢٦٦ .

(٥) المحتسب ٢ / ١٩ وينظر ٢/ ٧٧ .

من النص السابق يتضح تفرقة ابن جني بين (حلا يحلُو) و(حلِي يحلَـى) مـع اتحـاد مصدرهما وهو (الحلاوة) . وقد أرجع هذا الاختلاف إلى اختلاف الاشتقاق .

فالشيء إما أن تظهر حلاوته عن طريق حاسة الذوق، وإما عن طريق البصر فما كانـت حلاوته تذوقا فهو من (الواو) وماضيه على (فعل) بفتح العين، ومضارعه (يفعل) بضمها، يقال: " حلا الشيء في فمي يحلو حلاوة " . وما كانت حلاوته عن طريق الرؤية فهو من (الياء) وماضيه على (فعِل) بكسر العين ومضارعه على (يفعَل) بفتحها .

هذا، وقد ربط ابن جني ـــ كعادته غالبا ـــ بين المعنى وخصائص الأصوات، وما تتميز به قوة وضعفاً ؛ فالواو لكونها أقوى من الياء والألف جعلت لحاسة الذوق، وهي أقوى ـــ بالطبع ـــ من حاسة البصر، و(الياء والألف) لضعفهما جعلتا في حاسة السمع .

وبالرجوع إلى كتب اللغة نجد أن العلماء مختلفون في هذين اللفظين :

أولا : أكثر علماء اللغة على التفرقة بينهما ؛ تبعاً لاختلاف الاشتقاق كما ذكر ابن جني، من هؤلاء الأصمعي الذي قال : " حلى في عيني بالكسر، وحلا في فمي بالفتح " [1] وبهذه التفرقة أخذ الجوهري، وابن فارس [2]، وأوردا شاهدًا على ذلك قول الراجز :

* إن سِراجاً لكريمٌ مَفخـرهْ *

* تَحْلى به العين إذا ما تَجهرُهْ *[3]

وبهذه التفرقة أخذ ابن سيده أيضاً، ورد على من زعم أن (حلِي) لا تلتقي مع (حَـلا) في شيء بل إنها لغة مستقلة، وهي مشتقة من (الحلْى) الملبوس، أي : الذي لامه في المصدر يـاء، فقال : " وحلى بقلبي وعيني يحلى، وحلا يحلو حلاوة وحُلوانا . وفصل بعضهم فقال : حلا الشيء في فمي، وحلى بعيني، إلا أنهم يقولون: هو حلو في المعنيين . وقال قوم من أهل اللغة : ليس حلـى من حلا في شيء، هذه لغة على حدتها، كأنها مشتقة من الحلى الملبوس ؛ لأنـه حـسن في عينـك

---

(١) تهذيب اللغة ٥ / ١٥١، والصحاح (ح ل ا) وعمدة القارئ ١ / ١٤٧ .

(٢) ينظر : الصحاح، والمقاييس ٢ / ٩٤، ٩٥، واللسان (ح ل ا) .

(٣) البيتان من " الرجز " وهما في الصحاح، واللسان (ح ل ا) .

كحسن الحلى، وهذا ليس بقوى ولا مرضي " . [1] وهو قول ابن الأثير وابن مالك، وابن منظور والفيومي . [2]

ثانيا : سوى بعض العلماء بينهما في المعنى، من هؤلاء اللحياني حيث قال : "حليت المرأة بعيني وفي عيني، وبقلبي وفي قلبي، وهي تحلَى حلاوة" وقال ـ أيضا ـ: حلت تحلُو حلاوة " [3] وكذلك ابن السكيت حيث نقل عن الفراء قوله : " وقد حليت بعيني وصدري، وفي عيني وصدري، وقد حلا يحلو " [4] وقال في موضع آخر: "ويقال : حلى بعيني وبصدري، وفي عيني وفي صدري، وحلا بعيني وفي عيني حلاوة فيهما جميعاً " . [5]

والقول بالتفرقة ـ في المعنى ـ بين الصيغتين أولى بالقبول ؛ لأن عليه أكثر العلماء من جهة، وعليه ورد استعمال العرب، كل في موضعه من جهة أخرى .

فمن استعمال (حلا يحلو حلاوة) في حاسة الذوق أو الفم قول كثير عزه :

نُجِدُّ لك القولَ الحَلِيَّ ونمتطي .·. إليك بنات الصيعرى وشَدقمِ[6]

وهو من قولهم : حلى يحلو لي في الفم [7] . ومنه قول لبيد :

مُمقِرٌ مُرٌّ على أعدائه .·. وعلى الأدنيْن حُلو كالعسلْ[8]

فقوله : (حلو كالعسل) ينبغي أن يكون من : حلا يحلو حلواً، لا من حلِي يحلى حلواً ؛ لأن العسل مما يذاق . ومنه أيضا قول الفرزدق في مدح سيدنا على زين العابدين :

---

(١) المحكم ٣ / ٤ .

(٢) النهاية ١ / ٤٤٥، إكمال الأعلام بتثليث الكلام ١ / ١٦١، واللسان، والمصباح (ح ل ا).

(٣) تهذيب اللغة ٥ / ، واللسان، وتاج العروس (ح ل ا) .

(٤) إصلاح المنطق : ٤١ .

(٥) السابق ٢١٣ .

(٦) البيت من "الطويل" وينظر في ديوانه : ٣٠٦، والمحكم ٤ / ٣، واللسان (ع ل ا) .

(٧) المحكم ٤ / ٣ (ح ل ا) .

(٨) البيت من (الرمل) وينظر في ديوانه : ١٤٨ .

حمالُ أثقالِ أقـوامٍ إذا افتُـدِحوا ∴ حُلْوُ الشمائلِ تَحلُو عنده نَعَـمُ[1]

أي : تحلو في فمه كلمة (نعم) .

ومن استعمال (حلى) بالكسر في العين ما ورد في حديث على (كـرم الله وجهـه) : "لكنهم حليت الدنيا في أعينهم " [2] يقال : حلى الشيء بعيني يحلى : إذا استحسنته، وحلا بفمي يحلو .[3]

ومن الشعر ــ غير قول الراجز السابق ــ قول أبي ذؤيب الهذلي :

فـشأنكها إني أمـينٌ وإنـني ∴ إذا ما تحالى مثلُها لا أطُورُهـا[4]

قال ابن فارس : " يقال : حلى بعيني يحلى، وتحالت المرأة : إذا أظهرت حـلاوة... " [5] واستشهد على ذلك ببيت أبي ذؤيب الهذلي .

عَلَىَّ وعَلِىٌّ :

فرق ابن جني (رحمه الله) دلاليا بين (على) و(علي) وذلك عند توجيهه لقـراءة أبي رجاء، وابن سيرين، وقيس بن عبادة، وقتادة، والضحاك، ويعقوب وغيرهـم : ﴿ صِـرَاطٌ عَلِـيٌّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [6] فقال :" قال أبو الفتح : (عَلِيٌّ) ــ هنا ــ كقولهم : كريم وشريف . وليس المراد به علو الشخوص والنّصبة (أي : هيئة إقامة الشيء) .

قال أبو الحسن ــ في قراءة الجماعة ــ :"﴿ قَالَ هَذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ هو كقولك : الدلالة اليوم علي [7]، أي : هذا صراط في ذمتي وتحت ضماني، كقولك : صحة هذا المال علـى،

---

(١) البيت من " البسيط " وهو في ديوانه ٢ / ١٧٩ افتدحوا : ثقلوا بالمصائب .

(٢) النهاية لابن الأثير ١ / ٣٤٥ (ح ل ا) .

(٣) النهاية ١ / ٣٤٥، واللسان (ح ل ا) .

(٤) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه الهذليين ١ / ١٥٥، ومقاييس اللغة ٢/٩٤ .

(٥) المقاييس ٢ / ٩٤ (ح ل ا) .

(٦) سورة الحجر : من الآية ٤١، وقراءة الجماعة (عَلَىَّ) .

(٧) معاني القرآن للأخفش، ونصه : " يقول : على دلالته، نحو قول العرب : " علي الطريق الليلة" أي : علي

وتوفية عدته على، وليس معناه عنده : أنه مستقيم على، كقولنا : قد استقام على الطريق، واستقر على كذا، وما أحسن ما ذهب إليه أبو الحسن فيه " .(١)

من النص السابق يتبين لنا أن ابن جني قد فرق بين قراءة الجماعة (عَلَىَّ) بفتح العين واللام وياء مشددة مفتوحة، وبين قراءة أبي رجاء ـ ومن تبعه ـ (عَلِيِّ) بفتح العين، وكسر اللام، وياء مضمومة منونة، فمعنى قراءة الجماعة (على) أي : في ذمتي وتحت ضماني، ومعنى قراءة أبي رجاء : (على) كريم وشريف .

والمتأمل يجد أن اختلاف المعنى في القراءتين جاء تبعاً لاختلافهما في الاشتقاق، فـ(عَلَىَّ) في قراءة الجماعة ـ وعليها عامة قراء الحجاز، والمدينة، والبصرة، والكوفة ـ تتكون من جزءين، هما : (على) حرف جر، وياء المتكلم المضافة إليها.

ومعنى الآية عندهم : هذا طريق إليَّ مستقيم، فكأن معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إلي فأجازى كلا بعمله، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (٢) . وذلك نظير قول القائل ـ لمن يتوعده ويتهدده ـ : طريقك على، وأنا علي طريقك فكذلك قوله : " هذا صراط عليَّ " معناه : هذا طريق علي، وهذا طريق إلي .(٣)

وقال ابن الجوزي ـ في توجيه قراءة الجماعة ـ : " اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يعني بقوله هذا : الإخلاص، فالمعنى : إن الإخلاص طريق إلي مستقيم، و(علي) بمعنى (اللام) .

والثاني : هذا طريق علي جوازه ؛ لأني بالمرصاد فأجازيهم بأعمالهم، وهو خارج مخرج

دلالته ٢ / ٦٠٤ .

(١) المحتسب ٢ / ٣، ٤ .

(٢) الفجر : الآية ١٤ .

(٣) جامع البيان للطبري ١٤ / ٣٣، وينظر : الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٧٥١، عن الحسن والكسائي ومجاهد

الوعيد ، فهو كقوله : " إن ربك لبالمرصاد " .

والثالث : هذا صراط علي استقامته، أي : أنا ضامن لاستقامته بالبيان والبرهان . (١)

وهو تفسير ابن جني عينه، الذي قد أخذه بدوره من أبي الحسن الأخفش كما سبق بيانه .

هذا، وأكثر المفسرين على تفسير (عَلَيَّ) ـــ في قراءة الجماعة ـــ بمعنى (إلى) والأدوات يقوم بعضها مقام بعض، قال الحسن في تفسيره للآية الكريمة ـــ معناه : صراط إلي مستقيم (٢) .

وهذا يحتمل أمرين :

الأول : أن يكون أرادوا به أنه من باب إقامة الأدوات مقام بعضها، فقامت أداة (على) مقام (إلى) .

والثاني : أنه أراد التفسير على المعنى، وهو الأشبه بطريق السلف، أي : صراط موصل إلى. (٣)

أما قراءة الباقين (أبو رجاء ومن تبعه) (عَلِيٌّ) بكسر اللام، وياء مشددة منونة فهي صفة مشبهة، ومعناه : رفيع، مستقيم، أي : رفيع في الدين والحق . (٤)

واشتقاقه من علِي يعلَى علاء، ومعناه : الرفعة والشرف كما ذكره الخليل، قال: "تقول لكل شيء علا : علا يعلُو عُلُوا، وتقول في الرفعة والشرف : علِي يعلَى علاء، والعلياء : رأس كل جبل مشرف " . (٥)

وقال ابن سيده : " علِي في المكارم والرفعة والشرف علاء، وحكى اللحياني علا في هذا

---

(١) زاد المسير ٤ / ٤٠١، وينظر : مفاتيح الغيب ٩ / ٤٢٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٧٥١ .

(٣) مدارج السالكين / لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ١ / ١٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٧٥١، ومفاتيح الغيب ٦ / ٤٢٧، وفتح القدير ١٣١/٣ .

(٥) العين ٢ / ٢٤٥. (ع ل و) .

المعنى " [1] . بمعنى : أن اللحياني أجاز أن يكون (عَلِيٌّ) صفة مشبهة مشتقة من : علا يعلُو علواً في معنى الرفعة والشرف . وتبعه في ذلك ابن سيده، حيث قال : " وعلا الشيء علواً فهو علي، وعَلِيٌّ، وتعلَى، قال رؤبة :

* لما عَلاَ كعبُك لي عَلَيت * [2]

وقال الفيروز أبادي : " عَلاَ علوا فهو عَلِيٌّ " وعلِي في المكارم كرضِي علاء، وعلا عُلُواً، ورجل عَالِي الكعب : شريف ... " . [3]

وهكذا اختلفت المعاني ؛ تبعاً لاختلاف الاشتقاق في القراءتين، وهذا يدل على دور الحركة في الاشتقاق، ودور الاشتقاق في تنمية الألفاظ في العربية، وهذا يتبعه تنمية المعاني .

هُدْنَا وهِدْنا :

فرق ابن جني (رحمه الله) دلاليًا بين (هُدْنَا) بضم الهاء، و(هِدْنَا) بكسرها، وذلك عند توجيهه لقراءة أبي وجزة السعدي : ﴿ هِدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [4] فقال : "قال أبو الفتح : أما (هُدْنَا) بضم الهاء مع الجماعة : فتبنا . والهُوْدُ جمع هائد، أي: تائب .

وأما (هِدْنَا) بكسر الهاء ــ في هذه القراءة ــ فمعناه : انجذبنا وتحركنا، يقال: هادني يهيدني هيدا، أي : جذبني وحركني، فكأنه قال : إنا هدنا أنفسنا إليك، وحركناها نحو طاعتك، قال :

أَلِمَّا عليها فانعياني وانظِرا ∴ أينصتُها أم لا يُهَيِّدُهَا ذِكْرِي [5]

أي : أم لا يهيجها ويهزها ذكرى . ومنه قولهم في زجر الإبل : هِيْد، أي: أسرعي، قال

---

(١) المحكم ٢ / ٣٥٢ واللسان (ع ل و) .

(٢) البيت من " الرجز " وينظر في ديوانه : ٢٥، والصحاح واللسان (ع ل ا) .

(٣) القاموس المحيط (ع ل و) .

(٤) سورة الأعراف : من الآية ١٥٦، وقراءة العامة (هدنا) بضم الهاء، وزيد بن علي، وأبي وجزة بكسرها . ينظر : البحر ٤ / ٤٠١ .

(٥) البيت من "الطويل " وينظر في المحتسب ١ / ٢٦٠ .

ذو الرمة :

إذا حَدَاهُنَّ بِهَيْدٍ هَيْدَ .·. صَفَحْنَ لِلأزرارِ بالُخدُودِ[1]

المتأمل لنص ابن جني السابق يتبين له حصافة ابن جني، ورجاحة عقله، إذ استطاع أن يكشف عن دور الاشتقاق في تحديد المعنى ؛ تبعا لاختلاف القراءتين، وأن أصل الاختلاف يعود إلى أصل الاشتقاق في الكلمتين، وليس عن تعاقب الحركتين (الضمة والكسرة) .

فـ (هدنا) بضم الهاء، اشتقاقه ؛ من هَاد يهُود هُوداً، ومعناها : تبنا . فأصل العين (واو) وضمت الهاء لمناسبة الواو، وليست أصيلة في بابها . أما (هِدْنَا) بكسر الهاء، فمن :.هاد يهِيد هَيْداً، ومعناه : انجذبنا وتحركنا، وأصل العين (ياء) وكسرت الفاء لمناسبة الياء .

وما ذكره ابن جني من اختلاف المعنى بين القراءتين، تبعا لاختلاف الاشتقاق عليه أكثر علماء العربية، وبه أخذ معظم المفسرين، لكن غالب أهل اللغة قد اكتفوا ببيان الأصل الاشتقاقي لكلمة (هدنا) بالضم، كأبي عبيد، وابن دريد، وابن سيده والعيني، والكفوي، فقد جاء عنهم أنه : من هاد الرجل يهود هوداً : إذا رجع وتاب ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي : أنبنا وتبنا، ورجعنا [2] . فأصل الهود ـــ بالواو ـــ : الرجوع من الشيء إلى الشيء .

أما ابن جني (رحمه الله) فلم يكتف ـــ كما فعل سابقوه وبعض لاحقيه ـــ ببيان الأصل الاشتقاقي لكلمة (هدنا) بالضم، بل ذكر ـــ أيضا ـــ الأصل الاشتقاقي لكلمة (هدنا) بالكسر فقال :" انه من هادني يهيدني هيداً " ومعناه : انجذبنا وتحركنا كما سبق بيانه، واستدل على ذلك بما أورده من الشعر والرجز، وعليه أيضا قول عبد الغني النابلسي :

يا قريبَ اللّقا بعيدَ التجافي .·. لِمَ توافى رهطاً وتهجو رهطا

نحن هِدْنا إليكَ فمن سِواكَ الآن .·. فاجعلْ لنا من الأمرِ قِسْطَا[3]

---

(١) البيتان من (الرجز) وينظران في ديوانه ١ / ٣٤٨، والمحتسب ١ / ٢٠٦، هيد هيد : يريد الحداء، أي : إذا ساقه وحدا لهن .

(٢) الجمهرة٣/٣٠٦،والمحكم ٤ / ٢٦٢، وعمدة القارئ ١٨ / ٢٢٧، والكليات ١ / ٩٦٤ .

(٣) البيتان من " الخفيف " وينظران في ديوانه : ٩٠٣ .

ولعل ذلك من بنات أفكاره،إذ لم أعثر ـــ فيما اطلعت عليه عنـد سابقيه ـــ مـن أورد الأصل الاشتقاقي لـ(هدنا) بكسر الهاء، لكن ورد ذلك عند من تأثروا به عن اللاحقين وبخاصة مـن المفسرين،كالزمخشـري،وابن عطية،والعكبري، وأبي حيان والألوسي[1]، وهذا يدل علـى دور الاشتقاق في تنمية اللغة بالألفاظ والمعاني.

مما سبق بيانه من التفرقة بين معنى الكلمتين تبعاً لاختلاف اشتقاقهما أنه لا عبرة ـــ إذًا ـــ بمن سوى بينهما في المعنى، كأبي بكر : محمد بن القاسم الأنباري حين قال : " قـرأ أبـو وجـزة السعدي : " إنَّا هِدْنا إلَيْكَ " بكسر الهاء، ومعناهما واحد، يقال: هاد يهُود، ويهِيد بمعنى " . [2]

ولا عبرة ـــ أيضا ـــ بإنكار أبي وجزة السعدي قراءة الضم، وأنه ليس من كلام العـرب فقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن أبي وجزة السعدي ـــ وكان من أعلم الناس بالعربية ـــ أنه قال : لا والله لا أعلمها في كلام أحد من العرب (هُدنا) . قيل : فكيف ؟ قال : (هِدنا) بكسر الهاء، يقول : ملنا " [3] لأن هذا القول مردود من جهتين :

الأولى : أن قراءة الضم قراءة متواترة قرأ بها القراء العشرة، بل هي قراءة الجماعة .

الثاني : ورودها في الشعر العربي، من ذلك قول زهير :

---

(١) ينظر على الترتيب : الكشاف ٢ / ١٢٩، والمحرر الوجيز ٢ / ٤٦٠، وإملاء ما من به الرحمن ١ / ٢٨٦، والبحر المحيط ٤ / ٤٠١، وروح المعاني ٩ / ٧٦، عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير، وأبي العالية، وقتادة والضحاك، والسدى (البحر ٤ / ٤٠١) .

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ / ٢١٤ .

(٣) الدر المنثور للسيوطي ٣ / ٥٧١، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب / له، وفتح القدير ٢ / ٢٥٣، وروح المعاني ٩ / ٧٦ .

سِوى ربع لم يـأتِ فيـه مخافـة ∴ ولا رهقا مـن عائـدٍ مُتَهَـوِّدِ[1]

وقول الآخر :

يـا راكـبَ الـذئبِ هُذْهُـذْ ∴ واسـجدْ كأنـكَ هُذْهُـذْ[2]

ولعل أبا وجزة يقصد بقوله : " لا أعلمها في كلام أحد من العرب " أنه مُعَرَّبٌ ؛ إذ قال الزركشي، والسيوطي : إنه معرب عن العبرانية [3]، وإن كان ذلك يتنافي مع إنكاره قراءة الـضم التي قرأ بها الجماعة .

(١) البيت من "الطويل" وينظر في ديوانه: ٤١، وتهذيب اللغة ٦ / ٣٨٨، والمخصص ٩٩/١٣ .

(٢) البيتان من " الرجز " وهما في والكشاف ٢ / ١٢٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٨٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢ / ١١٧ .

المبحث الرابع

ما عده ابن جني من المترادف وبينه فرق

استأثرت مسألة الخلاف في وقوع " الترادف " باهتمام الباحثين، ونالت من عنايتهم الشيء الكثير، فطالما تساءل اللغويون أيجوز أن تترادف لفظتان أو أكثر على معنى واحد في اللغة أو لا يجوز ؟ (١)

ففي القرنين الأول والثاني الهجريين أجمع العلماء فيهما على وجود الترادف في العربية، وكان العلماء ـــ أنذاك ـــ يعدونه سمة من سمات اللغة العربية، دالة على اتساعها في الكلام . أما في القرنين : الثالث والرابع الهجريين فقد اختلف العلماء فيه، فمنهم من أقر بوجوده في العربية الفصحى، ومنهم من أنكره، ومنهم من أنكر وجوده في اللهجة الواحدة، وأقره في لهجتين مختلفتين. (٢)

وابن جني (رحمه الله) أحد العلماء الذين أقروا بوجود ظاهرة الترادف في اللغة العربية المشتركة، فقد أورد في " الخصائص " ـــ في أكثر من موضع ـــ ما يؤيد ذلك، فمن ذلك قوله في (باب في إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد) : " وإذا جاز أن يكون في أصول هذه اللغة المقررة اختلاف اللفظين والمعنى واحد، وكان جميع ما نحن فيه جائزا سائغاً، ومأنوساً به متقبلاً " . (٣)

وقال ـــ أيضا ـــ تعليقاً على أن (الزَّبْن) و(الضيق) بمعنى واحد : " وهذا ونحوه ـــ عندنا ـــ هو الذي أدى إلينا أشعارهم وحكاياتهم بألفاظ مختلفة على معان متفقة . وكان أحدهم إذا أورد المعنى المقصود بغير لفظه المعهود، كأنه لم يأت إلا به، ولا عدل عنه إلى غيره ؛ إذ الغرض فيهما واحد، وكل واحد منهما لصاحبه مرافد. وكان أبو علي (رحمه الله) إذا عبر عن المعنى بلفظ

---

(١) الترادف في اللغة للدكتور : حاكم مالك لعيبي : ١٩٥ .

(٢) ينظر المزهر ١ / ٤٠٣ ـــ ٤٠٥، وعلم اللغة بين القديم والحديث للدكتور : عبد الغفار هلال : ٣٠١ .

(٣) الخصائص ٢ / ٤٧١ .

ما فلم يفهمه القارئ عليه، وأعاد ذلك المعنى عينه بلفظ غيره ففهمه، يقول : هذا إذا رأى ابنه في قميص أحمر عرفه، فإذا رآه في قميص كحلي لم يعرفه " . (١)

هذا، وقد أورد ابن جني أسباباً لوقوع الترادف في اللغة، من أهمها :

(١) اختلاف اللهجات :

يقول ابن جني : " وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت في لغة إنسان واحد فإن أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثر أو طرفاً منها، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ ـــ في المعنى الواحد ـــ على ذلك كله، هذا غالب الأمر، وإن كان الآخر في وجه من القياسي جائزاً، وذلك كما جاء عنهم في أسماء الأسد، والسيف، والخمر وغير ذلك ... وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات، اجتمعت لإنسان واحد، من هنا ومن هنا..." . (٢)

(٢) انحراف الصيغة واللفظ واحد :

وقد مثل ابن جني لذلك بقوله : " هي رَغوُة اللبن، ورُغوته، ورِغوته، ورَغاوته، ورِغاوته، ورُغايته، ... " . (٣)

(٣) اشتراك بعض الألفاظ في صيغة واحدة :

من ذلك قوله في (باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) : "وقد كثرت (فعيلة) في هذا الموضع، وهو قولهم : الطبيعة، والنحيتة، والغريزة، والنقيبة، والضريبة، والنحيزة، والسجية، والطريقة، والسجيحة، والسليقة، وجميع هذه المعاني التي تقدمت تؤذن بالإلف والملانية، والإصحاب والمتابعة. (٤)

---

(١) الخصائص ٢ / ٤٧٠ .

(٢) السابق ١ / ٣٧٤، ٣٧٥ .

(٣) السابق ١ / ٣٧٤، ٣٧٥ .

(٤) الخصائص ١ / ١١٦ ـــ ١١٨ (بتصرف) .

ولعل الموضعين الأخيرين قد انفردا بهما ابن جني ؛ إذ لم أعلم أحداً من العلماء غيره أوردهما في أسباب الترادف .

ثم ذكر أهميته في اللغة، فقال ــ معقباً على ما أورده من أمثلة : " فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة . وإنما يسمع الناس هذه الألفاظ فتكون الفائدة عندهم منها إنما هي علم معنياتها . فأما كيف، ومن أين فهو ما نحن عليه . وأحج به أن يكون عند كثير منهم نيفا لا يحتاج إليه، وفضلاً غيره أولى منه " . (١)

وقد أورد في الباب نفسه قوله : " هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوى الدلالة على شرف هذه اللغة . وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضى المعنى إلى معنى صاحبه " . (٢)

وقال ابن جني ــ معقباً على ما أورده من أمثلة لهذه الظاهرة ــ :" فالتأني والتلطف في جميع هذه الأشياء وضمها، وملاءمة ذات بينها هو خاص اللغة وسرها، وطلاوتها الرائقة وجوهرها . فاما حفظها ساذجة، وقمشها محطوبة هرجة (٣) فنعوذ بالله منه بما أتاناه سبحانه عنه" . (٤)

وبمراجعة الألفاظ التي أوردها ابن جني (رحمه الله) على أنها مترادفة، نجد أن بعضها من قبيل الترادف حقاً، وعليه أكثر العلماء، كالمدية والسكين (٥)، وكألفاظ الغريزة، والطبيعة، والنحيتة، والضريبة، والنحيزة، والسليقة، وصقر، وصخد، وصهر (٦) . ومنها : الجعلبي،

(١) الخصائص ٢ / ١٢٣ .

(٢) السابق ٢ / ١١٥ .

(٣) قمش الشيء : جمعه من هنا وهنا من غير تحر للهجة . (محطوبة) من حطب الحطب : جمعه (هرجة) من هرج البعير : سرر من شدة الحر، وكثرة الكلاء بالقطران " . المحقق ١٢٧/٢ .

(٤) الخصائص ١ / ١٢٧ .

(٥) المنصف شرح تصريف المازني : ٦٣٦ .

(٦) المنصف : ٦٣٩، وجواهر الألفاظ / لقدامة بن جعفر : ٣٧٠ .

والصلخدي، والقبعثري ؛ إذ أنها ترجع جميعاً إلى الشدة [1] . وكذلك : سرهف، وسرعف، وسرهد، وسرهج، وعذلج، وخرفج ؛ إذ أنها تعني حسن الغذاء [2] . وفيها ـ أيضا ـ الكابوس والنيدلان [3]، وإن كان ترادفهما عن طريق الاقتراض من الأعجمي ؛ لأن لفظ الكابوس ليس عربياً، وإنما هو في العربية (الجاثوم) و(الباروك) و(النتدلان) . [4]

يبد أن هناك ألفاظاً أوردها ابن جني على أنها من قبيل الترادف مع أن الروابط بين بعض هذه الألفاظ ضعيفاً، مع الإقرار بالدور الذي يحدثه التطور اللغوي، والاستعمال المجازي في تقريب معاني بعض الألفاظ المختلفة المباني .

وسأعرض فيما يأتي ـ بمشيئة الله تعالى ـ لبعض هذه الألفاظ التي أرى فرقاً بينها، مدللاً على ما أقول بأقوال علماء العربية، فمن ذلك :

(١) (السكين، والمُدية، والخَيفة، والسخينة .. إلخ) .

أورد ابن جني أن : " المدية : هي السكين ـ ويقال لها : مُدية ومِدية، وسكينة بالهاء ـ والخَيفة، والسخينة، والشلقاء، والصَّلت، والرميض، والغالبة، وآكلة اللحم كله بمعنى واحد". [5]

وبمراجعة كتب اللغة تبين أن الترادف قد قع بين لفظتي (المدية والسكين) هذا ما عليه جمهور العلماء من اللغويين وشراح الحديث [6] . يؤيد ذلك ما ورد في الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال : " والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذ، ما كنا نقول إلا المديْة " [1] . وفي الحديث ـ أيضا ـ : " يا عائشة : هلمي المدية، ثم قال : اشحذيها بحجر، ثم أخذها، وأخذ

---

(١) السابق: ٥٦٣ .

(٢) السابق : ٥٥٦ .

(٣) المنصف : ١٣٠، وسر صناعة الإعراب ٢ / ٤٤٥ .

(٤) المعجم الوسيط ٢ / ٨٠٤ (ك ب س) .

(٥) المنصف : ٦٣٦ .

(٦) إكمال الأعلام لابن مالك ١ / ١٥، واللسان (م و ى) وشرح النووي على صحيح مسلم ١٣ / ١٢١ .

الكبش فأضجعه ثم ذبحه ... ".[٢]

أمـا سائـر الألفـاظ الأخرى الذي عدها ابن جني من قبيل الألفاظ المترادفة مع لفظة (السكين)فالحقيقة أن بينها وبين لفظ السكين فرقا،وسأقوم بتوضيحه ـ بإذن الله تعالى ـ فيما يأتي:

(أ) الفرق بين السكين والخَيفة :

أورد أبو عمرو أن (الخيفة) بفتح الخاء ترادف (السكين) حيث قال : "الخيفة: السكين وهي الرميض " [٣] . والصحيح أن الخيفة لفظ يطلق على كل ما نقص منه، أو أخذ من أطرافـه، يقال : تَخَيَّفَ ماله : تنقَّصه، وأخذ من أطرافه كتحيفه بالحاء، حكاه يعقوب بـن السكيت .[٤]

ويؤيد ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ [٥] أي : على تنقص، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وابن قتيبة، أي : على تنقص من أموالهم ومواشيهم وزروعهم . وقال الهيثم بن عدي : التخوف بالفاء : التنقص لغة لأزد شنوءه، وأنشد :

تَخَوَّفَ غَدرهم مـالى وأهـدَى ∴ سلاسلَ في الحُلوق لها صَـلِيلُ[٦]

كما عزيت إلى بني هذيل، قال أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكـه واكتنازه :

تَخَوَّفَ الرحل منها تامكا قَـرِدا ∴ كما تخوف عَود النبعة الـسَّفَنُ[٧]

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/ ٧١ .

(٢) مسلم ـ أضحية ـ ٣ / ١٥٥٧ (حديث رقم : ١٩٦٧) باب استحباب الأضحية، وذبحها بلا توكيل .

(٣) تهذيب اللغة ٧/٥٩٢، واللسان (خ ى ف) .

(٤) السابق ٧/ ٥٩٤، واللسان (خ ى ف) .

(٥) النحل : من الآية : ٤٧ .

(٦) البيت من " الوافر " وينظر في القرطبي ٥ / ٣٨٣٥ .

(٧) البيت من " البسيط "، وينظر في شرح ديوان الهذليين ٣/ ١٣٣٦، والقرطبي ٥ / ٣٨٣٥ (تمك السنام يتمك تمكا) أي : طال وارتفع، فهو تامك . والسفن والمسفن : ما ينجر به الخشب . وينظر: زاد المسير / لابن الجوزي ٤ / ٤٥١ .

فـ" السكين " : اسم للآلة الحادة القاطعة، والحيفة : اسم للشيء المقطوع حسا أو معنى، ومن هنا يبدو الفرق بينهما .

(ب) السكين والرَّمِيض :

أورد ابن جني فيما سبق ـــ أن السكين يقال لها : رميض، كما سبقه إلى ذلك أبو عمرو بن العلاء [1] . لكن بالرجوع إلى مصادر اللغة يتضح لنا أن " الرميض " وصف لكل شيء حاد، كالسكين، والسيف، والموسى، وغيرها، ومنه الحديث : "مدحك أخاك في وجهه كإمرارك على وجهه الموسى الرميض " [2] أي : الحاد . [3]

وقال ابن الأثير : " الرميض : الحديد الماضي (فعيل بمعنى مفعول) من رمض السكين يرمضه : إذا دقه بين حجرين ليرق، ولذلك أوقعه صفة للمؤنث " [4] .

وقال شمر : الرميض : الحديد الماضي، فَعيل بمعنى مَفعول، وعليه قول الشاعر :

* وما رُمِضَتْ عند القُيُون شِفَار * [5]

أي : أُحِدَّتْ . وقال ابن السكيت : " يقال : رمضت النصل فأنا أرمضه رمضًا : وهو أن تجعله بين حجرين أملسين ثم تدقه ليرقَّ . ويقال : نصل رميض، وشفرة رميض في معنى وقيع " [6] .

وقال الزبيدي : " شفرة رميض كأمير بين الرماضة، أي : وقيع ماض حديد، وكذلك نصل رميض، وموسى رميض، فعيل بمعنى مفعول، وأنشد ابن برى للوضاح بن إسماعيل :

وإن شئتَ فاقتلْنا بموسى رميضة .·. جميعا فقطعْنا بها عُقَدَ العُرَا [7]

---

(١) تهذيب اللغة ٥/ ٥٩٢ / ، واللسان (خ ى ف) .

(٢) غريب الحديث للحربي ٣/ ١٠٩٨، والنهاية ٢/ ٢٦٤ (ر م ض) .

(٣) غريب الحديث للحربي ٣ / ١٠٩٨ .

(٤) النهاية ٢ / ٢٦٤ (ر م ض) .

(٥) شطر بيت من " الطويل " وينظر في اللسان (ر م ض) .

(٦) إصلاح المنطق : ٢٠٢، وينظر : ٧٤، والصحاح (ر م ض) عن ابن السكيت أيضاً .

(٧) البيت من " الطويل " وينظر في اللسان، والتاج (ر م ض) .

وكل حاد رميض " [1] . وقال الأصمعي : " الرميض : السكين الحديد وهي الشديدة الحد "[2] وعلى ذلك فقد تبين أن هناك فرقا بين الرميض والسكين، فقد تباينا بالصفات .

(جـ) السكين والصَّلْتُ :

أورد ابن جني أن السكين يقال لها الصلت، وبمراجعة مصادر اللغة تبين أن هناك فرقا بينهما، فالصلت ــ بضم الصاد وفتحها ــ وصف لكل شيء حاد أيضاً، كالسكين، والسيف وغيرهما، قال أبو عمرو : " سكين صلت، وسيف صلت، ومخيط صلت : إذا لم يكن له غلاف . وقيل : انجرد من غمده " وروى عن العكلي أو غيره : وجاءوا بصلت مثل كتف الناقة، أي : بشفرة عظيمة " [3] .

وأصله بروز الشيء ووضوحه، وكل ما انجرد وبرز فهو صلت [4]، قال ابن سيده : " الصلت : البارز المستوي، وسيف صلت : منجرد ماض، والصلت : السكين المصلته . وقيل : هي الكبيرة، ورجل صلت الجبين : واضحه ... " [5] وقال الفيروز أبادي : " الصلت الجبين الواضح، وقد صلت ككرم صلوته، والبارز المستوي، والسيف الصقيل الماضي، والسكين الكبيرة، ويضم، والرجل الماضي في الحوائج " [6] . وفي صفته (ﷺ) : " كان صلت الجبين " [7] أي : واسعه [8] . وفي صلت الوجه قال جرير :

أصبح زوار الجُنيد وصحبه .. يُحيُّون صلت الوجهِ جماً مواهبُه[9]

---

(١) تاج العروس (ر م ض) .

(٢) كتاب السلاح للأصمعي ١ / ٣٩ .

(٣) تهذيب اللغة ١٢/ ١٥٤ (ص ل ت) .

(٤) مقاييس اللغة ٣/ ٣٠٢ (ص ل ت) .

(٥) المحكم ٨ / ٢٩٥، وينظر : الصحاح، واللسان (ص ل ت) .

(٦) القاموس (ص ل ت) .

(٧) غريب الحديث للخطابي ١ / ٥٩٨، والنهاية ٣ / ٤٥ .

(٨) السابق : المصدر والصفحة .

(٩) البيت من "الطويل" وينظر في ديوان جرير :١/ ٥٠٣، وفتوح البلدان للبلاذري : ٤٣٠، والمراد بالجنيد : الجنيد بن عبد الرحمن المري الوالي على ثغر السند من قبل عمر بن هبيرة الفزاري .

وفي السيف ورد في حديث (غورث) : " فاخرط السيف وهو في يده صلتا" أي : مجرداً يقال : أصلتَ السيفَ : إذا جرَّده من غمده، وضربه بالسيف صَلتا وصُلتا [1] . ومنه قول الشاعر:

فلما دُعِي والسيفُ صلت بكفه ∴ به آمنوا واستسلموا وأنابُوا[2]

مما سبق يتضح أن (الصلت) صفة لكل أملس، حاد، ماض : وجهاً، أو سيفاً، أو نصلاً، أو سكيناً، أو غير ذلك .

(د) السكين والسخينة :

أورد ابن جني ـــ فيما سبق ـــ أن السكين والسخينة لفظتان مترادفتان، وبالرجوع إلى كتب اللغة، نجد أن هناك فرقاً بينهما أورد ابن فارس أن : " السين والخاء والنون يدل على كل شيء فيه حرارة ". [3] . فالسخينة : الطعام الحار الذي يتخذ من دقيق وماء ولبن دون العصيدة في الرقة، وفوق الحساء، يقطع بالسكين، يؤكل في شدة الدهر، وغلاء السعر، وعجف المال ؛ وكانت تعير قريش بأكلها، حتى سموا سخينة، قال كعب بن مالك .

زعمتْ سَخِينةُ أنْ ستغلبُ ربَّها ∴ ولـيغلبن مُغالـبَ الغُـلاَّبِ[4]

وفي حديث فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) : " أنها جاءت النبي (ﷺ) ببرمة فيها سخينة " [5] أي : طعام حار . وفي حديث معاوية بن قرة : " شر الشتاء السخين " أي: الحار الذي لا برد فيه . [6]

---

(١) النهاية ٣ / ٤٥ .

(٢) البيت من " الكامل " وينظر في تاريخ اليمن : ١ / ٣٤٨ .

(٣) مقاييس اللغة ٣ /١٤٦ (س خ ن) .

(٤) البيت من " الكامل " وينظر في ديوانه : ٢٨، والمحكم ٥ /٨٢ (س خ ن) .

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ٢٩٢، ٢٩٨ .

(٦) النهاية ٢ / ٣٥١، واللسان (س خ ن) .

والسخاخين : المساحي، واحدها سخين بلغة عبد القيس، وهي مِسحاة منعطفة، والسخين: مر المحراث، عن أبي الأعرابي، يعني ما يقبض عليه الحراث منه . وقال ابن الأعرابي : هـو المفـرق والسخين . ويقال للسكين : السخينة والشلقاء، والسخاخين : سكاكين الجزار .[1]

فلعل تسمية السكين سخينا من باب المجاز، لأنها تقطع بالسكين .

(٢) التِّرْبُ والرِّئْدُ والقَّرن واللِّدَةُ :

سوى ابن جني بين الألفاظ السابقة، فقال : " يقال فلان لدتي، أي : مثلـي في الـسن، ومثله: الترب، والقرن، والرئد، قال :

لم تلتفـــــتْ لِلـــــداتِها .·. ومَـــضَتْ علـــى غُلْوائِهـــا [2]

وبالرجوع إلى هذه الألفاظ في كتب اللغة ومصادرها نجد أن أكثر العلماء علـى القـول بالترادف بين الرئد والترب [3]، على حين نجد أنهم قد فرقوا بين الألفاظ الباقية على النحو التالي :

(أ) الترب واللدة :

على الرغم من إقرار أكثر علماء اللغة بـأن التـرب واللـدة مترادفتـان كمـا قـال الخليل:والترب والتريب:اللدة،وهما تربان،وقوله (عز وجل):﴿ عُرُباً أَتْرَاباً ﴾[4].أي نـشّاطا أمثالاً" [5] ــ إلا أن بعضهم قد فرق بينهما من حيث الصفة، أو من جهة الاستعمال، فقد ذكـروا

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة ٧ /١٧٨، والمحكم ٨٢/٥ (س خ ن) .

(٢) المنصف : ٥٨٣ والبيت من "الكامل " عبدالله بن قيس الرقيات في ديوانه ١٩١، والتهذيب ١/ ٣٥٤ .

(٣) قال الخليل : " الرئد بالهمز : الترب، وهذا رئدك، أي : تربك " العين ٨ / ٦٣، وتهذيب اللغة ١٦٠/١٤، والمقاييس ٤٧١/٢ (ر أ د) .

(٤) الآية من سورة الواقعة : آية ٣٧ .

(٥) العين ٨ / ١١٧، واللسان (ت ر ب) .

أن (الترب) أكثر ما يكون في المؤنث، قال ابن منظور: "يقال : هذه ترب هذه، أي : لدتها . وقيل : ترب الرجل : الذي ولد معه، وأكثر ما يكون ذلك في المؤنث، يقال : هي تِربها، وهما تِربان، والجمع أتراب، وتاربتها : صارت تِربها، قال كثير عزة :

تُتَارِبُ بيضًا إذا اسْتَلْعَبَتْ .. كأُدْمِ الظباء تَرِفُّ الكَبَاثَا[1]

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ عُرُباً أَتْرَاباً ﴾ فسره ثعلب فقال : " الأتراب هنا : الأمثال " وهو حسن إذ ليست هناك ولادة . [2]

وقال الزبيدي : " والترب بالكسر : اللدة، وهما مترادفان، الذكر والأنثى في ذلك سواء . وقيل : إن الترب مختص بالأنثى والسن، يقال : هذه ترب هذه، أي: لدتها، وجمعه أتراب في الأساس، وهما تربان، وهم وهن أتراب . ونقل السيوطي عن ــ كتاب الترقيص ــ للأزدي الأتراب لا يقال إلا للإناث " . [3]

(ب) الترب والقرن واللدة :

جعل ابن جني هذه الألفاظ من قبيل الألفاظ المترادفة، وهو ما عليه جمهور العلماء [4]، إلا أن الترب أكثر ما يكون في الإناث، وقد يستعمل في الذكور كما سبق ذكره، أما القرن فإنه يستعمل للذكور خاصة ذكر ذلك الزبيدي، فقال : " يقال للذكور : الأسنان والأقران . أما اللدات فإنه يكون للذكور والإناث " [5] وقيل: الترب : من ولد معك، وأكثر ما يكون ذلك في المؤنث [6] . وقال الجوهري : "ولدة الرجل : تربه، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله ؛ لأنه

---

(١) البيت من " المتقارب " وينظر في ديوانه : ٢١٠، والمحكم ٩/ ١٨٠، واللسان (ت ر ب) .

(٢) المحكم ٩/ ٤٧٩(ت ر ب) .

(٣) تاج العروس (ت ر ب) .

(٤) الصحاح واللسان والقاموس (و ل د)، و(ت ر ب) و (ق ر ن) .

(٥) تاج العروس (ق ر ن) .

(٦) السابق (ت ر ب) .

جعل ابن جني (رحمه الله) كلمتي (يجمحون) و(يجمزون) بالزاي من قبيل الألفـــاظ المترادفة مع إثباتهما قراءة عن النبي ـــ ﷺ ـــ، فقال : " ومن ذلك ما رواه الأعمش قال : سمعـــت أنساً يقرأ : ﴿ لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَزُونَ ﴾ [1] . قيل له : وما يجمزون ؟ إنما هي (يجمحون) . فقال : يجمحون، ويجمزون، ويشتدون واحد .

(١) سورة التوبة : من الآية : ٥٧، وقراءة الجماعة ﴿ يَجْمَحُونَ ﴾ .

قال أبو الفتح : ظاهر هذا أن السلف كانوا يقرءون الحرف مكان نظيره من غير أن تتقدم القراءة بذلك ؛ لكنه لموافقته صاحبه في المعنى . وهذا موضع يجد الطاعن به ـ إذا كان هكذا ـ على القراءة مطعناً، فيقول : ليست هذه الحروف كلها عن النبي ـ ﷺ ـ . ولو كانت عنه لما ساغ إبدال لفظ مكان لفظ ؛ إذ لم يثبت التخيير في ذلك عنه، ولما أنكر ـ أيضاً ـ عليه : (يجمزون) .

إلا أن حُسْنَ الظن بأنس يدعو إلى اعتقاد تقدم القراءة بهذه الأحرف الثلاثة التي هي (يجمحون) و(يجمزون) و(يشتدون) . فيقول : اقرأ بأيها شئت، فجميعها قراءة مسموعة عن النبي ـ ﷺ ـ ؛ لقوله ـ عليه السلام ـ : " نزل القرآن بسبعة أحرف كلها شاف كاف " [1] ... " . [2]

فابن جني ـ في النص السابق ـ يدافع عن قراءة (يجمزون) بالزاي بدل (يجمحون) بالحاء المهملة، ويثبتها قراءة منقولة عن النبي ـ ﷺ ـ وليست من تلقاء أنس (رضي الله عنه) لمجرد اتفاقها في المعنى مع (يجمحون) هذا من جهة . ومن جهة أخرى يثبت ابن جني الترادف بين الألفاظ الثلاثة، وأنها متوافقة في المعنى، وعلى هذا يجوز أن يبدل كل لفظ منها من صاحبه فيحل محله في السياق نفسه .

هذا، وقد اتفق مع ابن جني على ترادف هذه الألفاظ بعض المفسرين كالإمام الرازي، وأبي حيان، وأبي السعود، والألوسي، وغيرهم . [3]

لكن علماء اللغة يفرقون ـ في المعنى ـ بين (يجمحون) و (يجمزون) فهما وإن اشتركا في الدلالة الكلية على معنى السير، إلا أنهما يختلفان في كيفيته، فلفظ (جمح) يستعمل في الدلالة على السرعة في السير المتطلب قوة شديدة، يقول الخليل ابن أحمد : " جمحت السفينة جموحاً : تركت

---

(١) مسلم ـ صلاة المسافرين ـ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف١/٥٦٠،حديث رقم ٢٧٠ .

(٢) المحتسب ١ / ٢٩٦، ومفاتيح الغيب ٨ / ٤٩ .

(٣) مفاتيح الغيب ٨ / ٤٩، والبحر ٥ / ٧٥، وأبو السعود ٤ / ٧٥، والألوسي ١١٩/١ .

قصدها فلم يضبطها الملاحون . وجمح الفرس بصاحبه جماحاً : إذا ذهب جرياً غالباً وكل شيء مضى لوجهه على أمر فقد جمح، قال :

إذا عزمتُ على أمر جمحتُ بـه ∴ لا كالذي صَدَّ عنه ثم لم يُثـبِ [1]

وفرس جموح : جامح، الذكر والأنثى في النعتين سواء " . [2]

وذكر ابن فارس أن : " الجيم والميم والحاء أصل واحد مطرد : وهو ذهاب الشيء قدماً بغلبة وقوة، يقال : جمح الدابة جماحاً : إذا اعتز فارسه حتى يغلبه، وفرس جموح، قال :

سَبوحٌ جموحٌ وإحضارُها ∴ كمعمعةِ السَّعْفِ المُوقَدِ [3]

فلفظ (جمح) يدل على ما يقترن به في أي سياق على السرعة، أو الخفة والنشاط حسياً كان ذلك كما في هذا البيت، أو معنوياً كما في البيت السابق عليه، وكقول ابن الرومي :

ازجرِ القلبَ إذا القلب جَمَحْ ∴ واردعِ الطرفَ إذا الطرفُ طَمَحْ [4]

وقوله :

جمح الحمدُ إليكمُ إذا جَرَى ∴ ثم وافاكم فأضحى قد حَزَنْ [5]

أما لفظ (جمز) فإنه يدل على ضرب من السير ليس بالشديد العدو كالقفز والوثب، فهو وإن كان فيه سرعة إلا أنه ليس كالجموح، يقول الخليل بن أحمد:"الجمز والجمزان والجمزى : عدو دون الحضر الشديد، وفوق العنق، قال (أمية ابن أبي عائذ الهذلي) :

كأني ورحلي إذا زُغْتُها ∴ على جَمَزَى جَازِئٍ بالرمالِ [6]

---

(١) البيت من " البسيط " وينظر في العين ٣ / ٨٨، واللسان (ج م ح) برواية (لم يثب) .

(٢) العين ٣ / ٨٨، وينظر : تهذيب اللغة ٤ / ١٦٨، والمحكم ٣ / ٩٨ (ج م ح) .

(٣) البيت من " المتقارب " لامرئ القيس، وينظر في ديوانه : ٨٥ برواية (سبوحا جموحاً)، وتهذيب اللغة ٤ / ١٦٨ (ج م ح) .

(٤) البيت من " الرمل " وينظر في ديوانه ٢ / ٥٥٧ .

(٥) البيت من " الرمل " وينظر في ديوانه ٦ / ٢٥٣٠ .

(٦) البيت من " المتقارب " وينظر في ديوان الهذليين : ١٧٥، والعين ٦ / ٧٢ .

وقال ابن القطاع : " جمز الفرس جمزاً، وأجمز : وثب، والإنسان أسرع كذلك " . (١) وفي حديث (ماعز)لما أقيم عليه حد الزنا : " فلما أذلقته الحجارة جَمَزَ حتى أُدْرِكَ بالحرة فقتل " (٢) قال ابن الأثير : " أي : أسرع هرباً من القتل " (٣) ومنه حديث عبد الله بن جعفر : " والله إن كان إلا الجمز ... " . (٤)

فالتعبير بـ (جمز) مع الإنسان يدل على شدة الوجل والاضطراب الداخلي للإنسان حين يكون معرضاً للهلاك، فيمضي لوجهه مسرعاً، كأن قد وثب أو قفز من مكان عال . وعلى هذا فأصل الجمز : القفز أو الوثوب، وقد يستعمل في معنى الجموح مجازاً .

(٤) الفرق بين الأسماء التي تدل على الحاجة، كالإرْب، واللِّبانة، والأَشْكَلة، والشَّهلاء :

أورد ابن جني في (باب في تلاقي المعاني، على اختلاف الأصول والمباني) قوله : " هذا فصل من العربية حسن المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، ذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة ... " . (٥) ومن ذلك قولهم في أسماء الحاجة : الحاجة، والحوجاء، واللوجاء، والإرب، والأشكلة، والشهلاء . فأنت تجدها جميعاً مع اختلاف أصولها ومبانيها راجعاً إلى معنى واحد : وهو الإقامة على الشيء والتشبث به، وذلك أن صاحب الحاجة كَلِفٌ بها، ملازم للفكر فيها، مقيم على نجزها واستحثاثها ... و (الحَوجاء) منها، وعنها تصرف الفعل : احتاج يحتاج احتياجاً، وأحوج يحوج، وحاج يحوج فهو حائج .

---

(١) الأفعال ١ / ١٥١ (ج م ز) .

(٢) مسلم ــ حدود ــ باب من اعترف على نفسه بالزنا ــ حديث رقم (١٦) وفيه : "فلما أذلقته الحجارة هرب فأدركناه بالحرة فرجناه " أما رواية المتن فهي في فتح الباري ١٢ / ١٢٧ وهي رواية ابن مسافر .

(٣) النهاية لابن الأثير ١ / ٢٩٤ (ج م ز)، وفي فتح الباري : " أي وثب مسرعاً وليس بالشديد العدو، بل كالقفز " .

(٤) المستدرك على الصحيحين / للحاكم النيسابوري ١ / ٥٠٧ ــ كتاب الجنائز ــ (حديث رقم ١٣١٢) وفيه عن أبي الزناد عن أبيه قال : " حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني بن أبي الزناد عن أبيه قال: كنت جالساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالبقيع فاطلع علينا بجنازة، فأقبل علينا ابن جعفر، فتعجب من إبطاء مشيهم ــ فقال : عجباً لما تغير من حال الناس، والله إن كان إلا الجمز ... " الحديث .

(٥) الخصائص ٢ / ١١٥ .

و(اللوجاء) من قولهم : لجت ألوجه لوجا : إذا أردته في فيك . والتقاؤهـا أن الحاجـة مترددة على الفكر، ذاهبة جائية إلى أن تقضي، كما أن الشيء إذا تردد في الفم فإنه لا يزال كذلك إلى أن يسيغه الإنسان أو يلفظه .

و(الإرْب والإربة، والمأربة) كله من الأُرْبة : وهي العقدة، وعقد مؤرب : إذا شُدِّدَ ... والحاجة معقودة بنفس الإنسان، متردة على فكره .

و (اللَّبانـة) من قولهم : تلبن بالمكان : إذا أقام به ولزمه، وهذا هو المعـنى عينـه . و(التلاوة والتَّلِيَّةُ) من تَلَوْتُ الشيء : إذا قفوته واتبعته لتردكه ...

و(الأَشْكلة) كذلك، كأنها من الشِّكال [1]، أي : طالب الحاجة مقيم عليها، كأنها شكال له، ومانعة من تصرفه وانصرافه عنها ... و(الشَّهْلاءُ) كذلك ؛ لأنها من المشاهلة : وهي مراجعة القول ... فقد ترى إلى ترامي هذه الأصول، والميل بمعانيها إلى موضع واحد . [2]

من النظر في النص السابق يتضح أن ابن جني أورد للفظ (الحاجة) أسماء متعددة ترجـع كلها إلى معنى واحد : وهو الإقامة على الشيء والتشبث به .

وبالرجوع إلى مصادر اللغة نجد أن بعض العلماء قد اتفق مع ابن جني في كل ما ذكر [3] وموافقة بعضهم الآخر له في القول بالترادف بين بعض هذه الألفاظ لا جميعها، كـالترادف بـين : الحاجة واللوجاء، والجوجاء . [4]

أما بقية الأسماء الأخرى، كالإرب، والإربة، واللبانة، والأشكلة، والشهلاء فهـي ـــ وإن اتفقت في بعض معانيها على الحاجة ـــ فإنها ليست أصيلة في هذه الدلالة، بل بالانتقال من المعـنى الأصلي إلى معنى آخر متطور عنها، وتالٍ لها، فإن عدت من المترادفات فهي من الترادف الجزئـي، الذي يحل فيه لفظ محل آخر في سياق ما دون غيره، وسأقوم بدراسة هذه الألفاظ التي وجدت فيها اختلافا دلالياً على النحو التالي :

---

(١) الشكال : حبل يوثق به يد الدابة ورجلها (اللسان : ش ك ا) .

(٢) الخصائص ٢ / ١٢٩ ـــ ١٣١ (بتصرف) .

(٣) اللطائف في اللغة . لأبي أحمد اللبابيدى ١ / ١٩٥ .

(٤) ينظر : المحكم ٣ / ٤٦٠ (ح ج و) والصحاح (ل و ج)، واللسان والتاج، وفتح الباري ٨٤/١٠ عن ابن ولاد .

(أ) الفرق بين الحاجة والإربِ :

سوى ابن جني بين لفظتي (الحاجة) و(الإرب) كما سبق في نصه، وأيده في ذلك بعض اللغويين، قال الخليل : " الإرب " : الحاجة المهمة، يقال : ما إربك إلى هذا الأمر، أي : ما حاجتك إليه، والإربة، والأرب، والمأربة أيضا " .(١)

ولكـن باستقـراء معجمات العربية يتضح أن هذا المعنى يعد معنى جزئياً لا كلياً، فأصل (الإرب) : الدهاء، والمكر، وفي الحديث أن النبي ـ ﷺ ـ ذكر الحيات، فقال : "مـن خـشي خبثهن، وشرهن، وإربهن فليس منا " (٢) والمعنى : من توقـى قتلهـن؛ خشيـة شرهن، ومكرهن فليس من سنتنا " . (٣) وفي الحديث ـ أيضا ـ : " وإن بايعتهم واربوك " أي : خـادعوك، مـن الإرب : وهو الدهى . (٤)

ويأتي (الإرب) في كلام العرب بمعان عدة، من أهمها : (العضو) ومنه حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : " كان رسول الله ـ ﷺ ـ أملككم لإربه " (٥) قال ابن الأثير : " أي : لحاجته، تعني : أنه كان غالباً لهواه . وأكثر المحدثين يرونه بفتح الهمزة والراء، يعني : الحاجة " .

وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء، وله تأويلان : أحـدهما : أنـه الحاجـة ... والثاني: أرادت به العضو، وعنت به من الأعضاء الذكر خاصة " (٦) وهو ـ أبين ـ كمـا ذكـر الخطابي.(٧)

---

(١) العين ٦ / ٢٨٩، وينظر : تهذيب اللغة ١٥ / ١٨٧ (أ ر ب) .

(٢) غريب الحديث للخطابي ٢ / ٤٨٤، والنهاية ١ / ٣٦ (أ ر ب) .

(٣) السابقان : ٢ / ٢٨٤، وينظر النهاية ١ / ٣٦ .

(٤) غريب الحديث لابن الجوزي ٢ / ٤٦٢، والنهاية ٥/ ١٧٢ (و ر ب) .

(٥) إصلاح غلط المحدثين للخطابي : ٢٤، والنهاية ١ / ٣٦، ومسلم ـ صيام ـ ٢ / ٧٧٧، ٧٧٨ (حديث رقم : ٦٥ ـ ٦٨) .

(٦) النهاية ١ / ٣٦، واللسان (أ ر ب)، وشرح النووي ٢ / ٢٠٤ .

(٧) إصلاح غلط المحدثين : ٢٤ .

ويأتي بمعنى (العقل) وهو من الدهاء، وفي الحديث : " مؤاربة الأريب جهل وعناء "[1] أي : أن الأريب ـ وهو العاقل ـ لا يختل عن عقله [2]، ومنه قول ابن زيدون :

وما أعطتِ السبعون قَبْلُ أُولِى الحِجى
من الإرْبِ ما أعطتْك عِشْرُوكَ والعَشْرُ[3]

ومنه قول معروف الرصافي :

وخَادَعه في الأمر وَهْوَ وزيرُه ∴ مواربة إذ كان مُستضعفَ الإربِ [4]

وعلى هذا فدلالة لفظ (الإرب) على معنى الحاجة دلالة جزئية ترد في سياق دون آخر وبهذا يفترقان .

(ب) الفرق بين الحاجة واللُّبَانَة :

اللُّبَانُ : ما جرى عليه اللَّبَبُ [5] من الصدر، من كل ذي حافر، وأصله في الفرس : موضع اللبيب، ثم استعير للناس، وفي قصيدة كعب بن زهير (رضي الله عنه) :

ترمي اللبان بكفيْها ومِدْرَعُهَا ∴ مُشَقَّقٌ عن تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ[6]

ثم استعمل اللفظ ـ أيضا ـ في معان أخر، منها : (الحاجة) من غير فاقة، بل من همة [7]، يقال : قضى فلان لَبانته، أي حاجته، قال ذو الرمة :

---

(١) النهاية ١ / ٣٦ .

(٢) السابق : ١ / ٣٦ .

(٣) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ١٥٦ .

(٤) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ١٥٩ .

(٥) اللبب : ما يشد على صدر الدابة والناقة، يمنع الرجل من الاستنخار، الصحاح (ل ب ب).

(٦) البيت من " البسيط " وينظر في شرح ديوانه : ١٨، والنهاية ٢ / ٢٣٣ (ر ع ب ل) ٤/٢٣٠ (ل ب ن)

(٧) العين ٨ / ٣٢٦ (ل ب ن) .

غداة امترتْه ماء العيونِ ونغَّصتْ ∴ لُبَانًا من الحاجِ الخدورُ الروافعُ[1]

ومنه قول لبيد :

لـولا تـسليك اللبانـة مـرة ∴ حرح كأحناء العبـيط عقـيم[2]

وقوله أيضا :

قَضِّ اللّبانـة لا أبالـكَ واذهـبْ ∴ والحقْ بأسرتك الكرام الغُيَّـب[3]

وبالرغم من ورود لفظ (اللبانة) في معنى الحاجة كثيراً كما سبق، وكما ورد في حديث الاستسقاء :

* أتيناك والعذراءُ يَدْمَي لَبَانُها * [4]

أي : يدمي صدرها ؛ لامتهانها نفسها في الخدمة، لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان [5]، إلا أن ابن فارس عده قريباً من الشذوذ . [6]

(ج) الفرق بين الحاجة والأُشْكَلَةِ :

يرى ابن جني أن هناك ترادفاً بين لفظي (الحاجة) و(الأشكلة) وقد وافقه بعض اللغويين على ذلك، قال الجوهري : " الشكلاء : الحاجة، وكذلك الأشكلة، يقال : لنا قبلك أشكلة، أي : حاجة " . [7]

---

(١) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه ٢ / ١٢٨١، واللسان (ل ب ن) .

(٢) البيت من " الكامل "، وينظر في ديوانه : ١٥٣ .

(٣) البيت من " الطويل "، وينظر في ديوانه : ٣٤، والعقد الفريد ٥ / ٢٣٩ .

(٤) صدر بيت من " الكامل "، وينظر في النهاية ٣ / ١٩٦، ٤ / ٢٣٠ .

(٥) النهاية ٤ / ٢٣٠ .

(٦) المقاييس ٥ / ٢٣٢ (ل ب ن) .

(٧) الصحاح (ش ك ل) .

وقال الأصمعي : يقال : لنا عند فلان روبة، وأشكلة أي : حاجة " [1] وقال الليث : " الأشكال : الأمور والحوائج المختلفة فيما يتكلف منها ويهتم لها، وأنشد للعجاج :

* وتَخْلُجُ الأَشْكالُ دون الأشْكالْ * [2]

ومع ذلك فالأشكلة بمعنى الحاجة ليس هو المعنى الأصلي للكلمة، ولكن معنى متطور ؛ لأن المعنى الأصلي هو المِثْلُ، قال أبو عمرو : " في فلان شَبَهٌ عن أبيه، وشَكْلٌ، وأَشْكَلَةٌ، وشَكْلَةٌ وشاكِل، ومُشاكَلَة " [3] والشَّكْلُ : المِثْلُ، تقول : هذا على شكل هذا، أي: مثاله، وفلان شكل فلان، أي : مثله في حالاته . وهذا أشكل بهذا، أي : أشبه [4] . ولهذا جعل ابن فارس الأشكلة بمعنى الحاجة مما شذ عن هذا الأصل، قال : " الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة، تقول : هذا شكل هذا، أي: مثله ... ومن الباب الشَّكْلَةُ : وهي حمرة يخالطها بياض، وعين شكلاء : إذا كان في بياضها حمرة يسيرة ... ومما شذ عن هذا الأصل الشكلاء : وهي الحاجة، وكذلك الأشكلة " [5] يقال : مالي قبلك شكلاء، أي حاجة، قاله أبو مالك . [6]

(د) الفرق بين الحاجة والشَّهلاء :

سوى ابن جني بين لفظي الحاجة والشهلاء، وهو كذلك عند بعض العلماء[7]، لكن هذا المعنى ليس هو المعنى الأصلي، بل المعنى الأصلي للشهل : هو اختلاط اللونين، فالشهلة في العين : أن يشوب سوادها زرقة، وعين شهلاء، ورجل أشهل العين بين الشهل، وأنشد الفراء :

ولا عيبَ فيها غير شُهْلَةِ عينِها ∴ كذاك عِتاقُ الطيرِ شُهْلاً عُيونُها[8]

---

(١) التهذيب ١٠ / ٢٣، واللسان (ش ك ل) .

(٢) البيت من " الرجز " وينظر في ديوانه : ٢٢٦، واللسان (ش ك ل) .

(٣) التهذيب ١٠ / ٢٤ (ش ك ل) .

(٤) اللسان (ش ك ل) .

(٥) مقاييس اللغة ٣ / ٢٠٥ (ش ك ل) .

(٦) جمهرة اللغة ٣ / ٥٨ (ش ك ل) .

(٧) الصحاح، واللسان (ش هـ ل) .

(٨) البيت من " الطويل " ولم أهتد لقائله، وينظر في الصحاح، واللسان (ش هـ ل) .

لذلك عد ابن فارس الشهلاء بمعنى الحاجة مما شذ عن الباب، حيث قال: "... وأما قولهم للحاجة : شهلاء فهو مما شذ عن الباب، وهو من باب الإبدال، والأصل الكاف : الشكلاء [1]، يقول مجنون ليلى :

وإنّ بعينِها – لعمرك – شهلَة ∴ فقلتُ كرامُ الطيرِ شَهْلٌ عيونُها[2]

ومما يدل على أن أصل الشَّهَل اختلاط بعض الألوان قول أبي زيد الأنصاري: "الأشهل، والأشكل، والأسجر واحد، وعين شهلاء : إذا كان بياضها ليس بخالص فيه كدورة " . [3]

وفي الحديث : " كان رسول الله ـ ﷺ ـ ضليع الفم، أشهل العينين، منهوس الكعبين" [4] . وفي رواية " أشكل العينين " قال شعبة : قلت لسماك : ما أشكل العينين ؟ قال : طويل شق العين . قال : الشهلة : حمرة في سواد العين، كالشكلة في البياض " . [5]

وعلى هذا يتضح القول بترادف الألفاظ : الأشكل، والأشهل، والأسجر، وينتفي الترادف بين الحاجة والأشكلة والشهلاء .

(٥) الفرق بين الصِّوار والمسك :

أورد ابن جني ـ في الباب السابق ـ أيضا ـ أن المسك والصوار لفظتان مترادفتان، فقال : " ومن ذلك قولهم للقطعة من المسك : (الصوار) قال الأعشى:

إذا تقومُ يَضُوعُ المسكُ أصْورَةً ∴ والعنبرُ الوردُ من أردانها شَمِلُ[6]

---

(١) مقاييس اللغة ٣ / ٢٣ (ش هـ ل) .

(٢) البيت من " الطويل " وليس في ديوانه ط دار مصر للطباعة، وينظر في اللسان (ش هـ ل) .

(٣) تهذيب اللغة ٦ / ٨٣، واللسان (ش هـ ل) .

(٤) النهاية ٢ / ٥١٦ (ش هـ ل) .

(٥) مسلم ـ فضائل ـ باب صفة فم النبي صلى الله عليه وسلم، وعينيه، وعقبيه ٤/١٨٢٠، حديث رقم (٢٣٣٩) .

(٦) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ١٨، والمحكم ٨ / ٣٧١، والمخصص ١٧ / ٢٥ .

فقيل له : (صوار) لأنه (فُعال) من صاره يصوره : إذا عطفه وثَناه، قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾[1] وإنما قيل له ذلك ؛ لأنه يجذب حاسة من يشمه إليه، وليس من خبائث الأرواح فيعرض عنه، وينحرف إلى شق غيره ألا ترى إلى قوله :

ولو أنّ ركْبًا يَمّمُوكَ لَقَادهُمْ ... نسيمُك حتى يستدلَ بك الرّكْبُ[2]

وكذا نجد ـ أيضا ـ معنى المسك، وذلك أنه (فِعْل) من أمسكت الشيء، كأنه ـ لطيب رائحته ـ يمسك الحاسة عليه، ولا يعدل بها صاحبه عنه ... فقولهم ـ إذا ـ : مسك يلاقي الصوار، وإن كانا من أصلين مختلفين، وبناءين متباينين : أحدهما (م س ك) والآخر (ص و ر) ... " .[3]

كما أورد في كتاب المحتسب أن لهذا الباب(تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) أمثلة تكاد تكون أكثر من الرمل، ومنه : " قولهم للمسك : صوار، فأصلاهما مختلفان : هذا من (م س ك) وهذا من (ص و ر) ومثالهما كذلك، لأن مسكا (فِعْل) وصوار (فُعال) ومعناهما ؛ وذلك لأنه سمي مِسْكاً لأنه بطيب رائحته يمسك الحس عليه استلذاذاً، وصوار من صار يصور : إذا عطف وجمع فأمسكتُ الشيء وعطفتُه وجمعتُه شيء واحد "[4] . فالأصول مختلفة، والمباني كذلك، والمعاني واحدة معتنقة " .[5]

فابن جني (رحمه الله) يقر اتحاد المعنى بين لفظتي (المسك والصوار) مما يعني ترادفهما، وإن اختلفت أصولهما ومبانيهما .

---

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٦٠ .

(٢) البيت من " الطويل " لأبي العتاهية، وينظر في ديوانه : ٧٠، والخصائص ٢ / ١٢٠ .

(٣) الخصائص ٢ / ١١٩، ١٢٠ .

(٤) المحتسب ١ / ١٥٣ .

(٥) السابق ١ / ١٥٣ .

لكن بإنعام النظر يتبين أن هناك فرقاً بين اللفظين ؛ لأن لفظ (الصوار) بكسر الصاد وضمها وردا كثيراً في أشعار العرب بمعنى البقر الوحشي، قال لبيد :

أفتلك أم وحشية مسبوعة ∴ خذلت وهادية الصوار قوامها[1]

وقول امرئ القيس :

كأن الصوار إذ تجهّد عدوُه ∴ على جَمَزَى خَيْلٌ تجول بأجْلَالِ[2]

وقول جابر بن جريش :

ومُعَيْنَا يحمي الصوارَ كأنه ∴ مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ إذا ما بَرْبَرَا[3]

أما مجيء لفظ (الصوار) بمعنى المسك فهو من غير العربية، قال ابن فارس : "الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة الأصول، وليس هذا الباب بباب قياس ولا اشتقاق ... ومن ذلك الصوار : صوار المسك . وقال قوم : ريحه، وقال قوم : وعاؤه ... وهذا لا أحسبه عربيا "[4] . وقال ابن منظور : " الصوار والصوار : الرائحة الطيبة ....، والقليل من المسك . وقيل : القطعة منه، والجمع أصورة، فارسي "[5] كذا قال الزبيدي[6]، أو نبطيه بمعنى القطعة كما ذكر القرطبي .[7]

وعلى هذا فلفظ (الصوار) مما وافقت فيه لغة العرب لغة العجم أو الفرس، وكان في كل منهما بمعنى يختلف عما هو عليه في الأخرى، فاقترضت العربية معنى المسك من الفارسية أو النبطية،

---

(١) البيت من " الكامل " وينظر في ديوانه : ١٧١ .

(٢) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ١٤٤ .

(٣) البيت من " الكامل " وينظر في ديوان الحماسة بشرح التبريزي ١ / ٢٣٢ . (المتخمط : المتكبر، والقطم : العجل الهائج، وبربرا : صاح) .

(٤) المقاييس ٣ / ٣١٩ (ص و ر) .

(٥) اللسان (ص و ر) .

(٦) تاج العروس (ص و ر) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٢٢٤ .

وبهذا يكون الترادف باعتبار ما آل إليه اللفظ، لا باعتبار الوضع الأول، فقد يوافق اللفظ اللفظ، ويقاربه ومعناهما واحد، أو يختلف وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها .

وقد ورد لفظ (الصوار) بالمعنيين معاً في قول الشاعر (علي بن الحسين المعروف بابن دبابة السنجاوى عن أبيه يمدح الناصر لدين الله أمير المؤمنين) :

إذا لاح الصُوار ذكرتُ ليلى ∴ واذكرُها إذا نفح الصوارُ[1]

كما جمعهما بشار بن برد في قوله :

إذا لاح الصوار ذكرت نُعْمَى ∴ وأذكرُها إذا نفح الصوارُ[2]

(٦) الفرق بين النُحاس، والصُفْر، والفِلزّ :

ذكر ابن جني (رحمه الله) أن : القطر، والنحاس، والصفر، والفلز ألفاظ مترادفة، حيث قال : " القطر : الصفر، والنحاس، وهو ـ أيضاً ـ الفلز، رويناه عن قطرب، وهو ـ أيضا ـ الصاد، ومنه قدور الصاد، أي : قدور الصفر .."[3].

وبمراجعة كتب اللغة تبين ترادف القطر والنحاس، وأن هذا الترادف قد نشأ عن اختلاف اللهجات، فـ(القطر) النحاس المذاب في لغة خثعم [4] لكن بين النحاس، والصفر، والفلز فرق دلالي كما نص على ذلك معظم اللغويين، وهو ما سأوضحه فيما يأتي :

(أ) الفرق بين النحاس والصفر :

الصفر : اسم من أسماء الذهب ؛ لذا فهو يرادف الذهب والعسجد، كما يرادف النحاس عند بعضهم [5]، لكنه يفترق عن النحاس عند جمهور اللغويين (من جهة العموم والخصوص) .

---

(١) البيت من " الوافر " وينظر في القرطبي، واللسان (ص و ر) .

(٢) البيت من " الوافر " وينظر في ديوانه ٤٩٣ .

(٣) المحتسب ١ / ٣٦٦ .

(٤) التبيان في تفسير غريب القرآن / للعكبري ١ / ٣٤٢، وينظر : القرطبي ٦ / ٤٢٣٢ .

(٥) اللطائف في اللغة والمعجم ١ / ٢١٠، ٢١٣، واللسان (ص ف ر) عن ابن بزرج .

فـ(الصفر) أعم من النحاس، إذ النحاس في الحقيقة : ضرب من الصفر شديد الحمرة، كذا قال الخليل بن أحمد، واستدل عليه بقول النابغة:

كـأن شُـواظَهن بجانبيْـه ∴ نُحاسٌ الصُّفر تضربه القُيُـونُ[1]

فأضاف النحاس إلى الصفر، والشيء لا يضاف إلى نفسه، بل إلى نوعه، أو مالكه . [2]

وقد يستعمل (الصفر) بمعنى النحاس ؛ اتساعاً كما في قول الأخطل :

إذا اتذر الحادي الكميشُ وقوَّمتْ ∴ سوالفَها الركبانُ والحِلقُ الصفرُ[3]

وكما في قول أبي تمام :

في كل يوم أظـافيري مقللـةٌ ∴ تستنبطُ الصفرَ لى من معدنِ الـذهبِ[4]

وقد يستعمل ــ أيضا ــ في معنى الذهب، كما في قول حسان بن ثابت :

مُـستقبلاتٌ كـل هـاجرة ∴ ينفحن في حلق مـن الـصفر[5]

(ب) الفرق بين النحاس والفلز :

الفلز ــ بالكسر وتشديد الزاي ــ : اسم جامع لجواهر الأرض، قال ابن سيده : " الفلز: الحجارة . وقيل : هو جواهر الأرض، وما ترمى به من خبثها . وأصله الصلابة والشدة والغلـظ

---

(١) البيت من " الوافر " وينظر في ديوانه : ٢٢١، والعين ٣ / ١٤٤ (ح س ن) .

(٢) المحكم لابن سيده ٣ / ٢٠٠ (ح س ن) .

(٣) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه : ١٢٧ .

(٤) البيت من " البسيط " وينظر في ديوانه : ٢٢ .

(٥) البيت من " الكامل " وينظر في شرح ديوانه : ٢٢٥ .

... ورجـــل فلز : غليظ، شديد " [1] . كذا أورده الأزهري، والزمخشري، وابن الأثير . [2]

وقيل : هو خبث ما أذيب من الذهب، والفضة والحديد [3]، أو ما ينفيه الكير مما يـــذاب من جواهر الأرض . وفي حديث علي (كرم الله وجهه) : " من فلز اللجين والعقيان) قال ابـــن الأثير : " وهو جميع جواهر الأرض من الذهب، والفضة، والنحاس، وأشباهها، وما يرمـــى مـــن خبثها" . [4]

وإذا أطلق على النحاس فهو النحاس الأبيض خاصة، يجعل منه القـــدو العظـــام المفرغـــة والهاونات . [5]

(٧) الفرق بين صَخَدَ، وصَقَرَ، وصَهَرَ :

عَدَّ ابن جني (رحمه الله) هذه الألفاظ من قبيل الألفاظ المترادفة، أو بمعنى واحـــد،فقال: اصطهر : (إفْتَعَلَ) من صهرته الشمس : إذا أذابته، وحميت عليه، يقـــال: صـــهرته، وصـــقرته، وصخدته : إذا حميت على دماغه، قال الشاعر :

إذا ذابتِ الشمسُ أتقى صَقَرَاتِها ... بأفنانِ مَربوعِ الصريمةِ مُعْبِـــلُ [6]

وقال ابن أحمر :

* تَصْهَرُه الشمسُ فما ينصرْ * [7]

وما ذكره ابن جني سبقه به قدامة بن جعفر الكاتب في باب (شدة الحر واحتدامه) [8] .

---

(١) المحكم ٩ / ٥٠ .

(٢) تهذيب اللغة ٤ / ٤٥١ (ز ل ف)، وأساس البلاغة، والنهاية ٣ / ٤٧٠ (ف ل ز) .

(٣) المحكم ٩ / ٥٠، واللسان (ف ل ز) .

(٤) النهاية ٣/ ٤٧٠ (ف ل ز) .

(٥) العين ٧/ ٣٦٨ ـ (ز ل ف) .

(٦) البيت من " الطويل " لذي الرمة في ديوانه ، المنصف : ، والعين ٧ / ٦٠ .

(٧) عجز بيت من " السريع " وينظر في : ٦٨، وصدره (تروى لَقًى أُلْقِيَ في صَفَقٍ) .

(٨) جواهر الألفاظ : ٣٧٠، ٣٧١ .

لكن حقيقة الأمر أن بين هذه الألفاظ (صخد، وصقر، وصهر) فرقاً دلالياً، لأنها وإن دلت ثلاثتها على شدة الحر، إلا أنها دلالة مجازية في بعضها، حقيقة أو أصلية في بعضها الآخر، وهذا ما سأقوم ـــ بإذن الله تعالى ـــ بتوضيحه في السطور التالية :

فاللفظ (صخد) تدور معانيه حول شدة الحر، قال قطرب : " وقالوا : الصخد : سكون الريح من شدة الحر، منها : الوَمْدَةُ [1]، ويقال : صَخَد يومنا يصخَد صخداناً، وصَخْداً . ويقال : يوم صيهب، وصيهد، وصيخود، وصخْدان : في شدة الحر " [2] . ومنه قول جرير :

يـــرى قمعاقـــا ســـيرى إلـــيهمُ ∴ وقمجيرى إذا صَـــخَدَ الهجـــيرُ[3]

وجعله ابن فارس عاماً في الشدة، كانت في حر أو غيره، قال : " الصاد والخاء والـــدال أصل صحيح يدل على شدة في حر أو غيره " ثم قال : " ولما يقارب هذا في باب الشدة قـــولهم : صخد الصرد : إذا صاح صياحاً شديداً، وكذلك صخد الرجل " . [4]

أما لفظ (صقر) فجعله في معنى : شدة الحر، أو شدة الشمس مجاز ؛ لأنه في أصله يدل على شدة وقع الشيء [5]، وتسمية الطائر (الصقر) من ذلك ؛ لأنه يصقر الصيد صـــقراً بقـــوة، ومنه قول الحارث بن حلزة : * صقرٌ يصيدُ بظُفره وجَناحه * [6]

وقد يسمى به الإنـــسان كنايـــة عـــن قوتـــه، وإقدامـــه في الحـــروب، قـــال حـــسان ابن ثابت :

من كل مأسورٍ يُـــشَدُّ صِـــفَادُهُ ∴ صَقْرٍ إذا لاقَى الكتيبـــةَ حَـــامِي

---

(١) الومدة : ندى يجيء في صميم الحر من قبل البحر مع سلون الريح .

(٢) كتاب الأزمنة : ٦٣ .

(٣) البيت من " الوافر " وينظر في ديوانه ٢١٨ .

(٤) مقاييس اللغة ٢ / ٢٣٦ (ص خ د) .

(٥) العين ٥ / ٩٠، والمقاييس ٣ / ٢٩٧ (ص ق ر) .

(٦) صدر بيت من " الكامل " وعجزه (فإذا أصاب حمامة بالعوسج) ديوانه : ٦٤ .

ومُجَدَّلٍ لا يستجيبُ لدعوةٍ ∴ حتى تَزولَ شَوامِخُ الأعلامِ[1]

ومن المجاز ــ أيضا ــ : صقرته الشمس : آذته بحرها، ورمته بصقراها [2]، كما سبق في قول ذي الرمة :

إذا مالت الشمس أتقى صقراها ∴ .....

وأما لفظ (صهر) بفتح الصاد فدلالته على شدة الحر مجاز أيضاً ؛ لأنه في أصل وضعه للدلالة على إذابة شيء، قال الخليل : " والصهر : الإذابة، والصهارة : ما ذاب منه، وكذلك الاصطهار في إذابته، أو أكل صهارته، قال العجاج :

* شك السَّفافيدِ الشواءَ المُصطهرْ * [3]

كذا ذكر الأزهري وابن فارس، وغيرهما . [4]

واستعماله في شدة الحر مجاز، قال الزمخشري : " ومن المجاز : صهر الحر : اشتد عليه، وعليه قول عنترة :

إذ لا تزالُ لكم مغرغرةٌ ∴ تغلي وأَعلى لونها صَهْرُ[5]

أي : حار . فوضع المصدر موضع الاسم، وكأنه قال : أعلى لونها لون صهر.[6] ومنه أصهرته الشمس تصهره صهراً : اشتد عليه حرها حتى آلم دماغه وانصهر، قال ابن أحمر :

تُرْوَى لَقًى أُلْقِي في صَفَفٍ ∴ تصهرُه الشمسُ فما يَنْصهرْ

(٨) الفرق بين النَّهْشَل والنَّهْسَر والنَّهْصَر :

---

(١) البيتان من " الكامل " وهما في شرح ديوانه : ٤٢٠ .

(٢) العين ٧ / ٦٠، وأساس البلاغة (ص ق ر) .

(٣) البيت من " الرجز " وهو في ديوانه، ١٠٣، والعين ٣ / ٤١٢ (هـ ص ر) .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة ٦ / ٦٨، والمقاييس ٣ / ٣١٥، واللسان (ص هـ ر) .

(٥) البيت من " الكامل " وليس في ديوانه، وينظر أساس البلاغة (ص هـ ر) .

(٦) المحكم لابن سيده ٥ / ٣٦٦ (غ ر ر) .

ذكر ابن جني (رحمه الله) أن : النهشل، والنهسر، والنهصر من الألفاظ المترادفة، ومعناها : الذئب، فقال : " النهشل : الشيخ الكبير، والأنثى نهشلة ... والنهشل ـ أيضا ـ : الذئب، ونهسر : قال أبو العباس : هو الذئب، قال النابغة الجعدي :

رَأَى حيثُ أمسى أطلسَ اللونِ شاحبًا ∴ أزل تسميه الشياطين نَهْسَرا [1]

ونهصر مثله " . [2]

وبمراجعة كتب اللغة يتضح أن (النهشل) من ألفاظ المشترك اللفظي ؛ إذ تعني : المسن المضطرب من الكبر، وقيل : هو الذي أسن وفيه بقية، والأنثى نهشلة ـ ولعله هو المعنى الأصلي للكلمة ـ ونهشل من أسماء الذئب، ونهشل : اسم رجل، واسم قبيلة معروفة، قال الأخطل :

تَعَافُ الكلابُ الضارياتُ لحومكم ∴ ويأكلنَ من أولادِ سعدٍ ونَهْشَلا[3]

والنهشل : الصقر ونهشل : إذا أَكَلَ أَكْلَ الجائع ... " . [4]

أما لفظ (نهسر) فيلتقي مع لفظ (نهشل) في إفادة معنى الذئب، والحريص الأكول النهم[5] . ويفترقان في أن النهشل، يكون للمسن المضطرب من الكبر، و(النهسر) صفة للخفيف السريع من الرجال . [6]

وأما لفظ (نهصر) فالنون فيه زائدة ـ على الأرجح ـ لأنه من معنى الهصر، بخلاف

---

(١) البيت من " الطويل " وينظر في ديوانه :٦٠ .برواية

(أطلس اللون بائسًا ... حريصًا .....

المنصف : ٥٦٧ .

(٢) السابق : ٥٦٧ .

(٣) البيت من " الطويل " وينظر : في ديوانه ٢٩٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٦ / ٥١٧، والمحكم ٤ / ٤٧٤ (ن هـ ش ل) .

(٥) مقاييس اللغة ٥ / ٣٦٣ .

(٦) المحكم ٤ / ٢١٩، واللسان (ن هـ ش ر) .

النون في (نهشل) و(نهسر) فإنها أصل فيهما . [1]

وأصل (الهصر) : أن تأخذ برأس العود فتثنيه إليك وتعطفه، كالغصن المنصهر، أي : المنكسر من غير بينونة[2]، وعليه قول الشاعر :

فلما تنازعْنا الحديثَ وأسمحتْ ∴ هَصَرْتُ بغصن ذي شماريخَ مَيَّالِ[3]

وفي الحديث : " كان ﷺ إذا ركع صهر ظهره " أي ثناه إلى الأرض . وفيه ـ أيضا ـ " لما بنى مسجد قباء رفع حجراً ثقيلاً، فصهره إلى بطنه " [4] أي : أضافه وأماله . [5]

ويطلق (الهصر) على الأسد، فالهصر، والهيصر، والهصور : الأسد، ومنه قول ابن حديس:

يا فاتكًا بعداته أبداً ∴ إن الذئابَ تبيدُها الهصرُ[6]

وفي حديث ابن أنيس : " كأنه الرئبال الهصور " أي : الأسد الشديد الذي يفترس ويكسر. [7]

---

(١) العين ٣/٤١١ (هـ ص ر) وعمدة القاري ٦/ ١٠٤ .

(٢) عمدة القاري ٦/ ١٠٤ .

(٣) البيت من "الطويل " لامرئ القيس في ديوانه : ١٤١، وتهذيب اللغة ٤ / ٣٤٦، ٦ /١٠٧

(٤) النهاية ٣ / ٦٤ .

(٥) السابق ٣ / ٦٣ .

(٦) البيت من " الكامل " وينظر في ديوانه : ٢٢٠ .

(٧) تهذيب اللغة ٦ / ١٥٧، والمحكم ٤ / ٤٧٤، واللسان (ن هـ ش ل) .

فلعل قول ابن جني باتحاد معناه مع (نهشل) من قبيل التطور الصوتي الذي لحق اللفظ فقد تبدل (الراء من اللام) لقرب مخرجيهما، وقد ذكر ذلك ابن القطاع، فقال : " أن النهصل، والنهشل يكون في معنى : المسن المضطرب من الكبر " .[1]

- أو أن (النهصر) قد انتقل أو استعار معنى : الأسد، والذئب في تطور اللغة عبر الزمن، وهو ما نسميه (الانتقال الدلالي) فأصبح مترادفا مع (النهشل) وإن كان في أصل الوضع غير مترادف .

(١) الأفعال لابن القطاع ٣/ ٢٨٦ .

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد ،،،

فبعون الله وتوفيقه قد انتهيت من هذه الدراسة الخاصة بـ(الفروق الدلالية عند ابن جني) ، وقد توصلت فيها إلى نتائج يمكن إجمال أهمها فيما يلي :

أولا : أدرك ابن جني (رحمه الله تعالى) خصائص أصوات العربية ، وأثرها في قوة التعبير أو ضعفه ، وتحول المعنى تبعاً لذلك . كما أدرك أن الوحدة الصوتية الواحدة قد تختلف وظيفتها التأثيرية باختلاف السياق التي ترد فيه ، فصوت (الخاء) يكون عند مقابلته بصوت (القاف) في (الخضم والقضم) وحدة ضعيفة ، ويكون وحدة قوية عند مقابلته لصوت (الحاء) المهملة في نحو (النضح والنضخ) ، وهنا يأتي دور السياق ليحدد الوظيفة التأثيرية (للخاء) ، ودون النظر إلى هذا السياق تصبح الدلالة أمراً احتمالياً .

ثانيا : اعتمد ابن جني في التفرقة في الدلالة على خصائص الصوتين المتقابلين من جهة ، وعلى الزمن الذي يستغرقه النطق بالصوت من جهة أخرى ، كما في (القد والقط) فخص الزمن الأطول ـ وهو ما يبدو في نطق الدال المماطلة ـ في الحدث الأطول وهو اقطع طولاً ، وخص الزمن الأقصر ـ وهو ما يبدو في نطق الطاء المناجزة السريعة ـ في الحدث الأقصر ، وهو القطع عرضاً . وقد تفرد ابن جني ـ فيما أعلم ـ بهذه السمة دون غيره ممن سبقه أو لحقه إلا على سبيل التأثر به أو النقل عنه ، مما يدل على عبقريته الكاشفة عن أسرار اللغة ، وما تذخر به من لآلئ وكنوز ، التي قلما نجدها في لغة غيرها ، وقلما يكشف عنها عالم غيره .

ثالثا : أدرك ابن جني الوظيفة الدلالية للحركات ، وبين أنها لا تقل عن الحروف (الصوامت) في بيان الفروق الدلالية وتمييزها ، فصيغة (مفعل) إذا كانت الميم الزائدة

مفتوحة فالصيغة تدل على الحدث (المصدر) وأن الشيء ثابت . وأما إذا كانت هذه الميم نفسها مكسورة فهي تدل على اسم الآلة ، وهو غير ثابت،وذلك أن (مَفْعَلاً) يأتي للمصادر، نحو : دخل مدخلا ، وخرج مخرجاً ، و (مِفْعَلاً) يأتي للآلات والمستعملات ، نحو: مِطرق ، ومِروح ، ومِخْصَف .

رابعاً : أدرك ابن جني دور الحركة في بيان أصل الاشتقاق ، كما أدرك دور الاشتقاق في تنمية الألفاظ في العربية وتحديد المعنى ، وهذا يتبعه تنمية المعاني ، ففي قوله تعالى: ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [1] نجد اختلاف المعنى في القراءتين جاء تبعاً لاختلافهما في الاشتقاق الذي نتج عن اختلاف الحركات .

خامساً : أورد ابن جني ألفاظاً عدها من قبيل الترادف وهي كذلك ، كما أورد ألفاظاً أخرى عدها من قبيل الألفاظ المترادفة مع أن الروابط بينها ضعيفة ، وأن الفرق بينها واضحاً للمتأمل في معجمات العربية ، مع الإقرار بالدور الذي يحدثه التطور اللغوي ، والاستعمال المجازي في تقريب بعض الألفاظ المختلفة المباني .

سادساً : من خلال هذه الدراسة اتضح أن التباين ــ في المعنى ــ بين الألفاظ ــ التي عدها ابن جني من المترادف ــ قد جاء عن طريق تباين الصفات ، أو من جهة الاستعمال ، أو الخصوص والعموم ، أو عن طريق ما آل إليه اللفظ ، أو عن طريق الترادف الجزئي الذي يحل فيه لفظ ما محل آخر ، في سياق ما دون غيره ، أو عن طريق الاقتراض من لغة أخرى .

هذه أهم النتائج التي استخلصتها من هذه الدراسة ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

---

[1] سورة الحجر : آية ٤١ .

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم .**

١. الإبدال / لابن السكيت ـ تح ـ د / حسين محمد محمد شرف ـ ط ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ مصر ـ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

٢. الإبدال / لأبي الطيب اللغوي ـ تح ـ عز الدين التنوخي ـ دمشق ١٩٦١م.

٣. الإتقان في علوم القرآن / للسيوطي ـ تح ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٤. أحكام القرآن / لابن العربي ـ تح ـ محمد عبد القادر عطا ـ ط ـ دار الفكر ـ لبنان ـ بدون تاريخ .

٥. أدب الكاتب / لابن قتيبة ـ تح ـ محمد محي الدين عبد الحميد ـ ط ـ السعادة ـ ١٩٦٣م .

٦. أزاهير الفصحى في دقائق اللغة / لعباس أبو السعود . ط ـ دار المعارف ـ ١٩٨٨م .

٧. أساس البلاغة / للزمخشري ـ ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٩٢م .

٨. إصلاح غلط المحدثين / للخطابي ـ تح ـ محمد علي عبد الكريم الرديني ـ ط ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ أولى ـ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٩. إصلاح المنطق / لابن السكيت ـ تح ـ عبد السلام هارون ـ ط ـ دار المعارف .

١٠. إعجاز القرآن / للباقلاني ـ تح ـ أحمد محمد صقر ـ ط ـ دار المعارف ـ الخامسة ـ ١٩٨١م

١١. الأغاني / لأبي الفرج الأصفهاني ـ تح ـ عبد الستار أحمد فراج ـ ط ـ دار الثقافة ـ ١٩٦٤م .

١٢. الأفعال / لابن القطاع ـ ط ـ عالم الكتب ـ أولى ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٣. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب / للبطليوسي ـ تح ـ مصطفى السقا والدكتور : حامد عبد المجيد ـ ط ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١م .

١٤. إكمال الأعلام بتثليث الكلام / لابن مالك ـ تح ـ سعد بن حمدان الغامدي ـ ط ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ أولى ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
١٥. الأمالي / لأبي علي القالي ـ ط ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ دون تاريخ.
١٦. إملاء ما من به الرحمن / للعكبري ـ تح ـ إبراهيم عطوه عوض ـ ط ـ مصطفى الحلبي ـ الثانية ـ ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
١٧. إنباه الرواة / للقفطي ـ تح / محمد أبو الفضل إبراهيم . ط ـ دار الكتب المصرية ١٩٥٠م .
١٨. البحر المحيط / لأبي حيان الأندلسي ـ ط ـ دار الفكر العربي ـ بيروت ـ الثانية ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
١٩. البرهان في علوم القرآن / للزركشي ـ ط ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ الثانية ـ دون تاريخ .
٢٠. تاج العروس / للزبيدي ـ ط ـ الخيرية ـ القاهرة ١٣٠٤هـ / ١٩٠٦م .
٢١. تاريخ اللغة وصحاح العربية / للجوهري ـ تح ـ أحمد عبد الغفور عطار ـ ط ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ أولى ـ ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .
٢٢. تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي ـ ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ دون تاريخ .
٢٣. تاريخ اليمن (خلال القرن الحادي عشر الهجري ـ السابع عشر الميلادي) / لعبد الله بن علي الصنعاني ـ تح ـ محمد عبد الرحيم حازم ـ ط ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
٢٤. الترادف في اللغة / للدكتور : حاكم مالك لعيبي ـ ط ـ الحرية ـ بغداد ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٢٥. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للمنذري ـ تح ـ إبراهيم شمس الدين طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت أولى ١٤١٧هـ .
٢٦. تفسير البغوي (معالم التنزيل) ـ تح ـ خالد عبد الرحمن العك ـ ط ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ دون تاريخ .
٢٧. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ـ ط ـ إحياء دار التراث العربي ـ بيروت ـ دون تاريخ .

٢٨. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ـ مراجعة ـ عبد العزيز سيد الأهل ـ ط ـ المشهد الحسيني ـ دون تاريخ .

٢٩. تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) ـ تح ـ أبو محمد بن عاشور طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ـ أولى ـ ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٣٠. تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي) / للعز بن عبد السلام ـ تح ـ عبد الله بن إبراهيم الوهبي ـ ط ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ أولى ـ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٣١. التمهيد لما في الموطأ من المعاني / لابن عبد البر ـ تح ـ مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري ـ ط ـ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ ١٣٨١هـ .

٣٢. تهذيب اللغة / للأزهري ـ تح ـ عبد السلام هارون وآخرين ـ ط ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧م .

٣٣. الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي ـ ط ـ دار الغد العربي ـ دون تاريخ .

٣٤. الجرح والتعديل لأبو محمد الرازي التميمي / ط ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ أولى ـ ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

٣٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن / للطبري ـ تح ـ محمود محمد شاكر ـ ط ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٨م .

٣٦. جمهرة الأمثال / لأبي هلال العسكري ـ ط ـ دار الفكر العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٣٧. جمهرة خطب العرب / لأحمد زكي صفوت ـ ط ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ دون تاريخ .

٣٨. جمهرة اللغة / لابن دريد ـ ط ـ حيدر آباد ـ الركن ـ الهند ـ ١٣٤٤هـ / ١٩٥١م .

٣٩. جواهر الألفاظ / لقدامة بن جعفر ـ تح ـ محمد محي الدين بن عبد الحميد ـ ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤٠. الحلة السيراء / لأبي عبد الله بن أبي بكر القضاعي ـ تح ـ حسني مؤنث ـ ط ـ دار المعارف ـ ط ثانية ـ ١٩٨٥م .

٤١. خزانة الأدب / للبغدادي ـ تح ـ عبد السلام هارون ـ القاهرة ـ ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

٤٢. الخصائص / لابن جني ـ تح ـ محمد علي النجار ـ ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ الرابعة ـ ١٩٩٩م .

٤٣. دراسات في فقه اللغة / للدكتور : صبحي الصالح ـ ط ـ دار العلم للملايين ـ أولى ـ ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

٤٤. درة الغواص في أوهام الخواص / للحريري ـ تح ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط ـ نهضة مصر ـ ١٩٧٥م .

٤٥. الدر المصون / للسمين الحلبي ـ تح ـ الدكتور : أحمد الخراط ـ ط ـ دار القلم ـ دمشق ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٤٦. الدر المنثور في التفسير المأثور / للسيوطي ـ ط ـ دار الفكر ـ أولى ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٤٧. الدلالة الصوتية عند ابن جني ـ للدكتور : ممدوح إبراهيم الخطيب ـ بحث في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ـ العدد السادس والعشرون ـ ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

٤٨. الدلالة اللغوية عند العرب / للدكتور : عبد الكريم مجاهد ـ ط ـ النور النموذجية ـ الأردن ـ عمان ـ ١٩٨٥م .

٤٩. ديوان الأخطل ـ تح ـ مهدي محمد ناصر الدين ـ ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٥٠. ديوان الأفوه الأودي ـ جمع عبد العزيز التميمي ـ ضمن كتابه(الطرائف الأدبية) ـ ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ دون تاريخ .

٥١. ديوان امرئ القيس ـ تح ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط ـ دار المعارف بمصر ـ الثانية ـ ١٩٦٤م .

٥٢. ديوان ابن أحمر ـــ جمع وتحقيق ـــ الدكتور : حسين عطوان ـــ ط ـــ مجمع اللغة العربيـــة بدمشق ـــ دون تاريخ .

٥٣. ديوان ابن الرومي ـــ تح ـــ الدكتور : حسين نصار وآخرين ـــ ط ـــ دار الكتب المصرية ـــ ١٣٩٣هـــ / ١٩٧٣م .

٥٤. ديوان ابن زيدون / تح / محمد سيد كيلاني ـــ ط ـــ مصطفى الحلبي ـــ ١٣٨٥هـــ / ١٩٦٥م .

٥٥. ديوان أسامة بن منقذ ـــ تح ـــ الدكتور : أحمد أحمد بدوي والدكتور : حامد عبد المجيـــد ـــ ط ـــ عالم الكتب ـــ بيروت ـــ دون تاريخ .

٥٦. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ـــ تح / محمد عبده عزام ـــ ط ـــ دار المعارف ـــ الثالثـــة ـــ ١٩٧٢م .

٥٧. ديوان البحتري ـــ تح ـــ حسن كامل الصيرفي ـــ ط ـــ دار المعارف بمصر ـــ الثالثـــة ـــ دون تاريخ .

٥٨. ديوان بشار بن برد ـــ شرح مهدي محمد ناصر الدين ـــ ط ـــ دار الكتب العلميـــة ـــ بيروت ـــ ١٤١٣هـــ ـــ ١٩٩٣م .

٥٩. ديوان جرير ـــ تح ـــ الدكتور : نعمان محمد طه أمين ـــ ط ـــ دار المعارف بمصر ـــ دون تاريخ .

٦٠. ديوان الحارث بن حمزة ـــ تح ـــ طلال هرب ـــ ط ـــ دار صادر ـــ بيروت ـــ ١٩٩٦م

٦١. ديوان الحطيئة برواية وشراح بن السكيت ـــ تح ـــ الدكتور : نعمان محمد أمين طه ـــ ط ـــ المدني ـــ أولى ـــ ١٤٠٧هـــ ـــ ١٩٨٧م .

٦٢. ديوان الحقائق ومجموع الرقائق لعبدالغني النابلسي ـــ تح ـــ محمد عبدالغني الزناتي ـــ ط ـــ دار الكتب العليمة ـــ بيروت ـــ ٢٠٠١م

٦٣. ديوان الحماسة بشرح التبريزي ـــ ط ـــ دار القلم ـــ بيروت ـــ دون تاريخ.

٦٤. ديوان بن حمديس ـــ تح ـــ إحسان عباس ـــ ط ـــ بيروت للطباعة والنشر ١٩٩٨م .

٦٥. ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان (أخت طرفة بن العبد) ـ تح ـ الدكتور : حسين نصار ـ ط ـ دار الكتب العلمية ـ ١٩٦٩م .

٦٦. ديوان رؤبة بن العجاج ـ عنى ـ بتصحيحه وترتيبة / وليم بن الورد ـ ط ـ دار الآفاق ـ بيروت ـ الثانية ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٦٧. ديوان ذي الرمة ـ تح ـ الدكتور : عبد القدوس أبو صالح ـ ط ـ طربين ـ دمشق ـ ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .

٦٨. ديوان زهير بن أبي سلمى ـ شرح وتقديم الأستاذ / علي حسن فاعور ـ ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٦٩. ديوان سبط التعاويذي ـ عنى بنسخه وتصحيحه الدكتور : ديس مرجليوس ـ ط ـ المقتطف بمصر ـ ١٩٠٣م .

٧٠. ديوان شعراء بني كلب بن وبرة ـ تحقيق الدكتور : محمد شفيق البيطار ـ ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ أولى ـ ٢٠٠٢م .

٧١. ديوان الشريف الرضي ـ ط ـ دار صادر بيروت ـ دون تاريخ .

٧٢. ديوان الطرماح بن حكيم ـ تح ـ الدكتور : عزه حسن ـ ط ـ دار الشروق العربي ـ لبنان ـ الثانية ـ ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٧٣. ديوان العجاج ـ رواية الأصمعي ـ تح ـ الدكتور : عزه حسن ـ ط ـ دار النشر العربي ـ لبنان ـ ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٧٤. ديوان عروة بن أذينة ـ تح ـ الدكتور : يحيى الجبوري ـ ط ـ التعاونية ـ لبنان ـ ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

٧٥. ديوان علقمة بن عبده ـ تح ـ سعيد شيب مكارم ـ ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٩٩م .

٧٦. ديوان عمر بن أبي ربيعة ـ ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٨م .

٧٧. ديوان عنترة العبسي ـ تقديم وشرح ـ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي ـ ط ـ عاطف ـ أولى ـ ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

٧٨. ديوان الفرزدق ـ قدم ـ ط ـ دار صادر ـ بيروت .
٧٩. ديوان قيس بن الخطيم ـ تح ـ ناصر الدين الأسـد ـ ط ـ دار صـادر ـ بـيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٧٦م .
٨٠. ديوان كعب بن مالك ـ تح ـ مجيد طراد ـ ط ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٩٧م .
٨١. ديـوان كـثير عـزه ـ شـرحه عـدنان زكـي درويـش ـ ط ـ دار صـادر / بيروت ١٩٩٧م .
٨٢. ديوان لبيد بن ربيعة ـ ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ دون تاريخ .
٨٣. ديوان مجنون ليلى ـ ط ـ دار مصر للطباعة ـ دون تاريخ .
٨٤. ديوان محمود سامي البارودي ـ ط ـ دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٩٨م .
٨٥. ديوان معروف الرصافي ـ ط ـ دار صادر للطباعة والنشر ١٩٧١م .
٨٦. ديوان النابغة الجعدي ـ تح ـ واضـح الـصمد ـ ط ـ دار صـادر ـ بـيروت ـ ١٩٩٨م .
٨٧. ديوان النابغة الذبياني ـ تح ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط ـ دار المعارف بمـصر ـ دون تاريخ
٨٨. ديوان الهذليين ـ ط ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
٨٩. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة ... / لمكي بن أبي طالب ـ تح ـ الدكتور: أحمـد حسن فرحات ـ ط ـ دار عمار ـ الأردن ـ الثانية ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٩٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / للألوسي ـ ط ـ دار الفكر العربي ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
٩١. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / لمحمد بن حبان البستي ـ تح ـ محمـد محـي الـدين عبدالحميد ـ ط ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٩٧م .
٩٢. زاد المسير في تفسير الكتاب العزيز / لابن الجوزي ـ ط ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ دون تاريخ .

٩٣. الزاهر في معاني الكلمات التي يستعملها الناس / لابن الأنباري ـــ تح ـــ حاتم الضامن ـــ مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ـــ أولى ـــ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٩٤. الزخيرة في محاسن أهل الجزيرة / لأبي الحسن الشنتريني ـــ تح ـــ إحسان عباس ـــ ط ـــ دار الثقافة ـــ بيروت ـــ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٩٥. سر صناعة الإعراب / لابن جني ـــ تح ـــ الدكتور : أحمد فريد أحمد ـــ ط ـــ المكتبة التوفيقية ـــ دون تاريخ .

٩٦. سنن أبي داود ـــ تح ـــ محمد عبد العزيز الخالدي ـــ ط ـــ دار الكتب العلمية ـــ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٩٧. سنن الترمذي ـــ تح ـــ إبراهيم عطوه ـــ ط ـــ عيسى الحلبي ـــ أولى ـــ ١٤٧١هـ / ١٩٥٢م

٩٨. سنن الدارمي ـــ تح ـــ عبد الله هاشم يماني ـــ ط ـــ الطباعة الفنية المتحدة بمصر ـــ ١٩٨٦هـ / ١٩٦٦م .

٩٩. السنن الكبرى / للبيهقي ـــ ط ـــ دار الفكر العربي ـــ بيروت ـــ من دون تاريخ.

١٠٠. سنن النسائي ـــ ط ـــ عيسى الحلبي ـــ أولى ـــ ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

١٠١. شرح ديوان حسان بن ثابت ـــ تح ـــ عبد الرحمن البرقوقي ـــ ط ـــ دار الأندلس بيروت الثالثة ١٩٨٣م .

١٠٢. شرح ديوان كعب بن زهير (صنعه السكري) ـــ ط ـــ الدار القومية للطباعة والنشر عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .

١٠٣. شرح ديوان الهذليين ـــ صنعة السكري ـــ تح ـــ عبد الستار أحمد فراج ومحمود محمد شاكر ـــ ط ـــ المدني بالقاهرة .

١٠٤. شرح النووي على صحيح مسلم ـــ ط ـــ المطبعة المصرية ومكتبتها ـــ القاهرة ـــ دون تاريخ .

١٠٥. شعر الأحوص الأنصاري ـــ جمع وتحقيق ـــ عادل سليمان جمال ـــ طبعة القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

١٠٦. شموس العرفان بلغة القرآن / لعباس أبو السعود ـــ ط ـــ دار المعارف ١٩٨٠م .
١٠٧. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها / لابن فارس ـــ تح ـــ السيد أحمد صقر ـــ ط ـــ عيسى الحلبي ـــ ١٩٧٧م .
١٠٨. صحيح البخاري ـــ ط ـــ دار الشعب ـــ ١٣١٤هـ .
١٠٩. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بليان ـــ تح ـــ شعيب الأرنؤوط ـــ ط ـــ مؤسسة الرسالة بيروت الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
١١٠. صحيح مسلم ـــ تح ـــ محمد فؤاد عبد الباقي ـــ ط ـــ عيسى الحلبي ـــ ١٩٥٥ ـــ ١٦٥٦م
١١١. الصوائت والمعنى في العربية (دراسة دلالية) / للدكتور : محمد محمد داود ـــ ط ـــ دار غريب ـــ القاهرة ـــ أولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .
١١٢. علم اللغة بين القديم والحديث / للدكتور : عبد الغفار حامد هلال ـــ ط ـــ الجبلاوي ـــ الثالثة ـــ ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
١١٣. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي للدكتور/ محمود السعران ـــ ط ـــ دار الفكر العربي دون تاريخ .
١١٤. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري / للعيني ـــ ط ـــ دار إحياء التراث العربي بيروت دون تاريخ .
١١٥. عن علم التجويد القرآني ـــ في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة / للدكتور: عبد العزيز أحمد علام .
١١٦. العين / للخليل بن أحمد ـــ تح ـــ الدكتور : مهدي المخزومي والدكتور : إبراهيم السامرائي ـــ ط ـــ العاني ـــ بغداد ـــ ١٩٦٧ ـــ ١٩٨٥م .
١١٧. غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب ـــ شرح : محمد خليل الخطيب ـــ ط ـــ الشعراوي ـــ طنطا ـــ ١٩٥٠ ـــ ١٩٥١م .
١١٨. غريب الحديث / لأبي عبيد القاسم بن سلام ـــ ط ـــ دار المعارف العثمانية ـــ حيدر آباد ـــ تحت إشراف الدكتور : محمد معبد خان ـــ ١٩٦٤م .

١١٩. غريب الحديث / لابن الجوزي ــ تح ــ الدكتور/ عبدالمعطي قلعجي بيروت ١٩٨٥م.
١٢٠. غريب الحديث / للخطابي ــ تح ــ عبد الكريم إبراهيم الغرباوي ــ ط ــ بالأوفست ــ عن دار الفكر العربي ــ دمشق ــ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
١٢١. غريب القرآن المسمي (نزهة القلوب) عنى بتصحيحه وترقيمه وضبط ألفاظه وتعليق حواشيه / لجنة من أفاضل العلماء ــ ط ــ محمد علي صبيح ــ ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.
١٢٢. الفائق في غريب الحديث / للزمخشري ــ تح ــ على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ــ ط ــ عيسى الحلبي ــ ١٩٤٨م .
١٢٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري / لابن حجر العسقلاني ــ ط ــ دار الريان للتراث ــ أولى ــ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
١٢٤. فتح القدير / للشوكاني ــ ط ــ دار الفكر العربي ــ بيروت ــ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
١٢٥. فتح المغيث شرح ألفية الحديث / لشمس الدين السخاوي ــ ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ أولى ــ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
١٢٦. فتوح البلدان / للبلاذرى ــ عنى بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ــ ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
١٢٧. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ــ تح ــ حسام الدين القدسي ــ ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .
١٢٨. الفروق اللغوية في لسان العرب/ للدكتور : محمد عبداللطيف على ــ ط ــ دار الفكر ــ جرجا ــ ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .
١٢٩. فصيح ثعلب ــ تح ــ د / عاطف مدكور ــ ط ــ دار المعارف ــ دون تاريخ .
١٣٠. فقه اللغة وسر العربية / للثعالبي ــ منشورات دار مكتبة الحياة ــ دون تاريخ .
١٣١. القاموس المحيط / للفيروز آبادي ــ ط ــ مصطفى الحلبي ــ ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

١٣٢. الكتاب / لسيبويه ـ تح ـ عبد السلام هارون ـ ط ـ الخانجي ـ الثالثة ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٣٣. كتابان في الفرق / لأبي حاتم ، وثابت بن أبي ثابت ـ تح ـ د / حاتم الضامن ـ ط ـ مكتبة النهضة العربية ـ لبنان ـ ١٩٨٧م .

١٣٤. كتاب الثقات لابن حبان البستي / تح / السيد شرف الدين أحمد ـ ط ـ دار الفكر العربي ـ أولى ـ ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

١٣٥. كتاب الجيم / لأبي عمرو الشيباني ـ تح ـ عبد العليم الطحاوي ـ ط ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ مصر ـ ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

١٣٦. الكشاف / للزمخشري ـ راجعه ـ مصطفى حسين أحمد ـ ط ـ الاستقامة بالقاهرة ـ ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م .

١٣٧. الكشف عن وجوه القراءات السبع / لمكي بن أبي طالب ـ تح ـ الدكتور: محي الدين رمضان ـ ط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١٣٨. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) / لأبي البقاء اللغوي ـ تح ـ عدنان درويش ومحمد المصري ـ ط ـ دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ـ ١٩٩٢م .

١٣٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / لعلاء الدين بن حسام المهندس ـ ضبط وتصحيح الشيخ حسن رزق وآخرين ـ ط ـ البلاغة ـ حلب ـ دون تاريخ .

١٤٠. لزوم مالا يلزم (اللزوميات) لأبي العلاء المعري ـ ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ دون تاريخ .

١٤١. لسان العرب / لابن منظور ـ تح ـ عبد الله الكبير وآخرين ـ ط ـ دار المعارف ـ دون تاريخ .

١٤٢. اللطائف في اللغة والمعجم (معجم أسماء الأشياء) للبابيدي ـ ط ـ دار الفضيلة القاهرة دون تاريخ .

١٤٣. المثلث / للبطليوسي ـ تح ـ الدكتور : صلاح مهدي الفرطوس ـ ط ـ دار الرشيد ـ بغداد ـ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

١٤٤. مجاز القرآن / لأبي عبيده : معمر بن المثنى ـــ تعليق ـــ محمد فـؤاد سـركين ـــ ط ـــ الخانجي بمصر ـــ دون تاريخ .

١٤٥. مجمع الأمثال / للميداني ـــ تح ـــ محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ ط ـــ دار الجيل ـــ لبنان ـــ الثانية ـــ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

١٤٦. المحتسب في تبيين شواذ القراءات / لابن جني ـــ تح ـــ على النجدي ناصف وآخـرين ـــ ط ـــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

١٤٧. المحكم والمحيط الأعظم / لابن سيده ـــ تح ـــ الدكتور : عبد الحميد هنداوي ـــ ط ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

١٤٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطية ـــ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد ـــ ط ـــ دار الفكر العربي ـــ بيروت ـــ الثانية ـــ دون تاريخ.

١٤٩. المخصص / لابن سيده ـــ ط ـــ الأميرية ـــ بولاق ـــ ١٣٢٠هـ .

١٥٠. مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين / لمحمد بن أبي بكر الزرعي ـــ تح ـــ محمد حامد الفقي ـــ ط ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت ـــ ثانية ـــ ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

١٥١. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ـــ تح ـــ محمد أحمد جاد المولى وآخرين ـــ ط ـــ عيسى الحلبي ـــ دون تاريخ .

١٥٢. المستدرك على الصحيحين / للنيسابوري ـــ تصوير دار الفكر العربي ـــ بيروت ـــ عن ط ـــ حيدر آباد بالهند ـــ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

١٥٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل ـــ ط ـــ دار الفكر العربي ـــ دون تاريخ .

١٥٤. مشارق الأنوار على صحاح الآثار / للقاضي عيـاض ـــ ط ـــ دار التـراث العـربي بالقاهرة ـــ ١٣٣٣هـ .

١٥٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير / للفيومي ـــ تح ـــ عبد العظيم الشناوي ـــ ط ـــ دار المعارف بمصر ـــ دون تاريخ .

١٥٦. معاني القرآن / للأخفش ـــ تح ـــ الدكتور : عبد الأمير محمد أمين الورد ـــ ط ـــ عالم الكتب ـــ بيروت ـــ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١٥٧. معاني القرآن / لأبي جعفر النحاس ـ تح ـ محمد علي الصابوني ـ ط ـ مؤسسة مكة للطباعة ـ أولى ـ ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .

١٥٨. معاني القرآن / للفراء ـ تح ـ أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ـ ط ـ الهيئة العامة للكتاب ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

١٥٩. معجم الأدباء / لياقوت الحموي ـ ط ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٧م .

١٦٠. معجم الأفعال المتعدية بحرف / لموسى بن محمد المليباني الأحمدي ـ من دون طبع وتاريخ.

١٦١. المعجم الكبير / للطبراني ـ تح ـ حمدي عبد المجيد السلفي ـ ط ـ دار البيان العربي ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

١٦٢. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) / للرازي ـ ط ـ دار الفكر العربي ـ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١٦٣. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تح ـ مصطفى السيد الكيلاني ـ ط ـ مصطفى الحلبي ـ ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

١٦٤. المدخل إلى السنن الكبرى / للبيهقي ـ تح ـ الدكتور : محمد ضياء الرحمن الأعظمي ـ ط ـ دار الخلفاء لكتاب الإسلام ـ الكويت ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١٦٥. مقاييس اللغة / لابن فارس ـ تح ـ عبد السلام هارون ـ ط ـ دار إحياء الكتب العربية (مصطفى الحلبي) ـ الثانية ـ ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

١٦٦. المنصف شرح تصريف المازني / لابن جني ـ تح ـ محمد عبدالقادر أحمد عطا ـ ط ـ دار الكتب العلمية بيروت أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

١٦٧. المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب / للسيوطي ـ تح ـ الدكتور : إبراهيم أبو سكين ـ ط ـ الأمانة بالقاهرة ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

١٦٨. النشر في القراءات العشر / لابن الجزري ـ عنى بنشره وتصحيحه الشيخ علي محمد الضباع ـ ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ دون تاريخ.

١٦٩. النهاية في غريب الحديث والأثر / لابن الأثير ـ تح ـ محمود الطناحي ـ وطاهر أحمد الزاوي ـ ط ـ عيسى الحلبي ـ ١٩٦٣م .

١٧٠. نهاية القول المفيد في علم التجويد/ لمحمد مكي نـصر ـ ط ـ مـصطفى الحلـبي ـ ١٣٤٩هـ / ١٩٢٩م

١٧١. نيل الأوطار / للشوكاني ـ ط ـ الأميرية ـ ١٣٩٧هـ .

١٧٢. وفيات الأعيان/ لابن خلكان ـ تح ـ إحسان عباس ـ ط ـ دار صادر ـ بيروت . دون تاريخ .